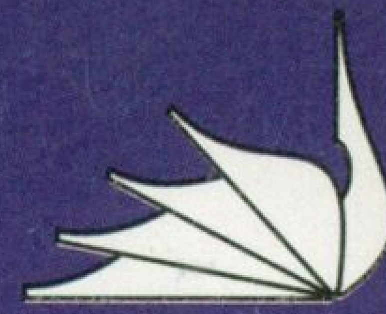
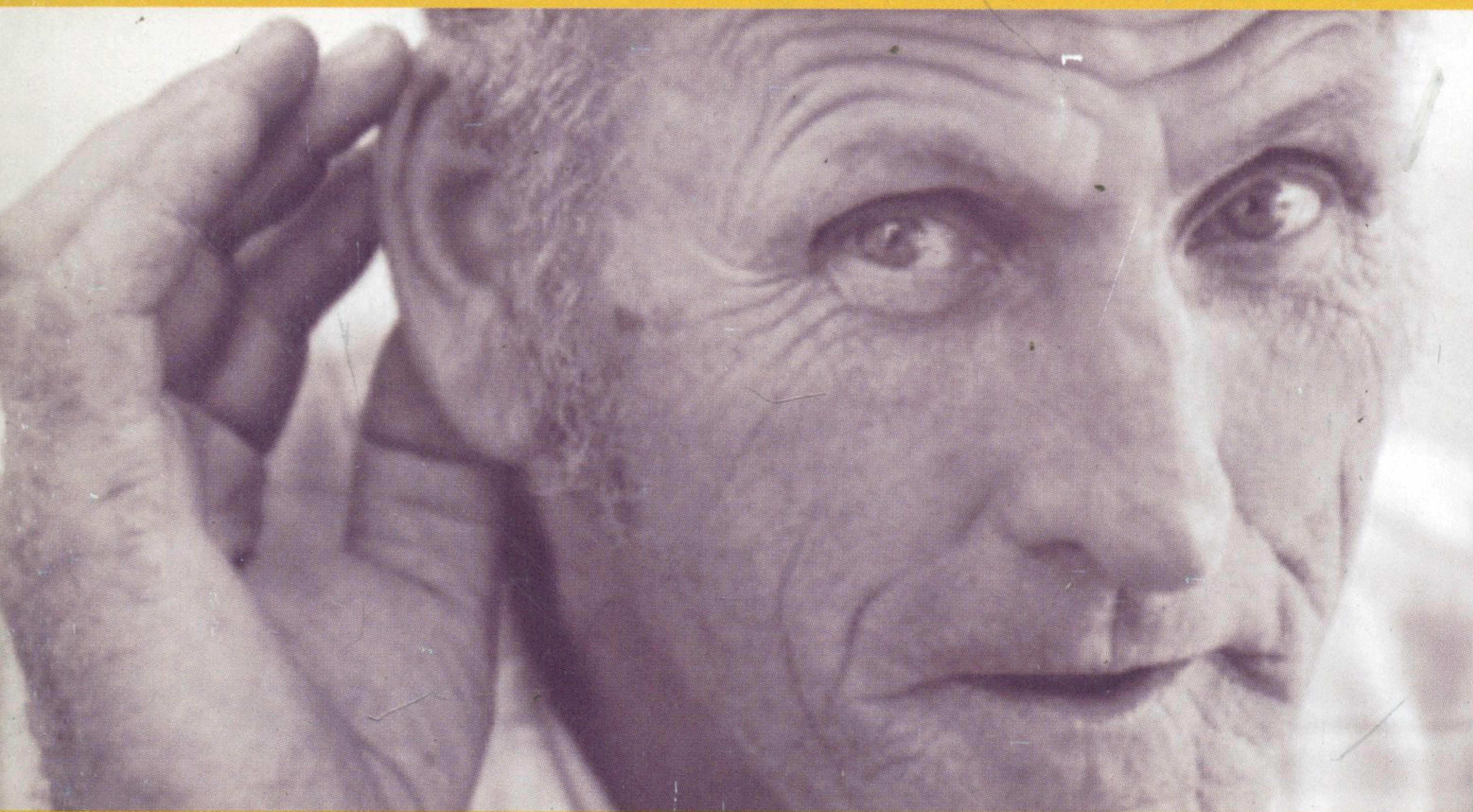


عبد المعطي نمر موسى



الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى



الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى

عبد المعطي نمر موسى

الطبعة الأولى

2014م /1435 هـ



المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2013/9/3480)

412.2
موسى، عبد المعطي نمر
الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى/ عبد المعطي نمر موسى، عمان، دار الكندي للنشر والتوزيع، 2013
( ) ص.
ر.إ.: 2013/9/3480
الواصفات: /علم الأصوات// فقه اللغة// اللغة العربية/

* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved

الطبعة الأولى

2014م /1435 هـ

يحظر نشر أو ترجمة هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي وجه، أو بأي طريقة، سواء أكانت الكترونية أم ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل، أو بأي طريقة أخرى، إلا بموافقة الناشر الخطية، وخلاف ذلك يعرض لطائلة المسؤولية.

No part of this book may be published, translated, stored in aretrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or using any other form without acquiring the witten approval from the publisher. Otherwise, the infractor shall be subject to the penalty of law.



ت - وسط البلد - تلفاكس: 4640597 6 962+
ص.ب 184248 عمان 11118 الأردن
dar_alkindi@yahoo.com

ISBN: 978-9957-523-65-7

المحتويات

الباب الأول

الصوامت

الفصل الأول

الصوامت

الفصل الثالث

الحركات القصيرة

مقدمة:

. . الدراسات اللغوية الصوتية -سواء القديمة والحديثة- كثيرة متشعبة، ولكنّ الدراسات الصوتية التي تقوم أساساً على تحول الأصوات (أي تغيرها وتبدلها)، ومحاولة إبراز أثر هذا التحول الصوتي في المعنى (المعجمي أو النفسي الإيحائي)، فهي نادرة؛ لذا فقد اخترت للبحث والدراسة موضوع: "الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى" استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة والنحو من جامعة اليرموك، سائلاً الله أن يوفقنا لبذل جهد مثمر بنّاء.

. . . . لقد ميّزتُ في هذه الدراسة التحولات (التبدلات) الصوتية التاريخية (المطلقة)، من التحولات التركيبية (المؤقتة)، وأبَنْتُ أنَّ التغيُّر في معنى الكلمة يكون بتبديل فونيم (وحدة صوتية مستقلة) بفونيم آخر، أما تبديل ألوفون (صورة نطقية من الفونيم) بآخر، فلا أثر له في تغيير المعنى.

. برز في هذه الدراسة جهدُ اللغويين العرب القدماء، والقُرّاء، في الدراسات الصوتية، ومدى اقترابهم مما توصل إليه اللغويون المحدثون أو ابتعادهم عنه، في العديد من القضايا الصوتية.

. . وقد قدّمتُ -بين يدي البحث- كلمةً توضِّحُ وتفسرُ القضايا والمصطلحات الصوتية التي تتعلق بموضوع البحث، مشيراً إلى منهج اللغويين العرب القدامى في دراسة الصوتيات وتصورهم للقضايا الصوتية التي وردت في البحث، وقسمتُ مادة البحث إلى بابين، أتبعتُها بخاتمة البحث.

وقد خصصْتُ البابَ الأول للأصوات الصامتة، وقسمتُه فصولاً ثلاثة، حيثُ بحثت في الفصل الأول ماهيةَ الصوامت، وصفاتها، ومخارجها.

. . . وبحثتُ في الفصل الثاني الأصوات الفصيحة المتحولة، وهي أصوات: الجيم، والضاد، والطاء، والقاف، ونوعَ التحول وعلاقته بالمعنى. وأما الفصل الثالث فقد كان دراسةً لظاهرة تحول النطق في اللجات الدارجة (العامية)، وأثر هذا التحول بالمعنى، وعَلاقتهَ باللغات (اللهجات) العربية القديمة، مستنداً إلى قواعد صوتية محددة في بداية الفصل نفسه.

. . وتناولتُ في الباب الثاني الأصواتَ الصائتة وقسمتُه كذلك ثلاثة فصول، بحثتُ في الأول منها ماهية الأصوات الصائتة، وسماتها، ومخرجها، ووظيفتها اللغوية ونظرة القُرّاء لأصوات الألف والواو والياء.

وخصصتُ الفصل الثاني للصوائت الطويلة: الألف، والواو والياء، وبحثت في الصور النطقية لكل منها، وعلاقة هذه الصور النطقية بالمعنى. وأبنتُ جهودَ القُرّاء واللغويين في تبيان وظائف المدِّ الصوتية والفسيولوجية وأثر ذلك

المعنى .

. . وأما الفصل الثالث فكان موضوعه : الحركات القصيرة ، الفتحة القصيرة ، والكسرة القصيرة والضمة القصيرة . وبحثت فيه وظيفة الحركات الصوتية ، وسماتها ، وصورها النطقية وعلاقة هذه الصور بالمعنى . وهذا الفصل يشتمل على دراسة ميدانية لظاهرة إمالة ما قبل تاء التأنيث في آخر الاسم في الوقف .

. . . وفي (الخاتمة) أوجزت أهم ما توصلت إليه من نتائج في القضايا الصوتية موضوع البحث .

. . . . وأهمُّ مصادر التراث التي اعتمدتُ عليها في هذا البحث :

- . . . . كتاب العين للخليل بن أحمد .
- . . . . الإبدال ، لأبي الطيب اللغوي .
- . . . . سر صناعة الإعراب ، لابن جني .
- . . . . الرعاية لتجويد القراءة ، وتحقيق لفظ التلاوة ، لمكي بن أبي طالب .
- . . . . رسالة أسباب حدوث الحروف ، لابن سينا .
- . . . . النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري .

. . . . وأهم الكتب الحديثة التي استعنتُ بها في هذه الدراسة :

- . . . . التطور النحوي ، لبرجستراسر .
- . . . . دروس في علم أصوات العربية ، لجان كانتيو .
- . . . . دراسة الصوت اللغوي ، د/ احمد مختار عمر .
- . . . . علم اللغة العام (الأصوات) ، د . كمال محمد بشر .
- . . . . التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، د . سلمان العاني .
- . . المدخل الى علم اللغة ؛ مظاهرة وعلله وقوانينه ، د . رمضان عبد التواب .

. . وفي هذا المقام أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور/ علي توفيق الحمد ، مساعد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المشرف على هذا البحث ، لما تفضّل به من توجيه وإرشاد ، كان له أكبر الأثر في إنجاز هذا البحث .

. وأتقدم بالشكر والعرفان بالفضل لعضوي لجنة المناقشة ، الدكتور الفاضل/ محيي رمضان ، والدكتور الفاضل/ محمد حسن عواد على جهدهما الصادق وعطائهما الطيب الجزيل .

والله ولي التوفيق

عبدالمعطي نمر موسى

مفتاح الرموز

١ . ژ ، تقابل ز (مفخمة) .

٢ . پ ، تقابل حرف (P) بالانجليزية .

٣ . گ ، تقابل كافا مجهورة (مثل حرف g بالانجليزية) .

٤ . ā (فتحة فوق الحرف a) إطالة الصائت (a) .

(ا) رسم الف صغيرة أسفل الف المد إمالة الألف .

٥ . حرف صامت تليه فتحة : أي رسم ألف صغيرة أسفل الحرف الصامت الذي تليه فتحة ، مثل غرفة - إمالة الفتحة .

٦ . ح= الحاشية .

٧ . وَ= w

٨ . ى = Y

٩ . َ = فتحة قصيرة .

١٠ . ِ = كسرة صغيرة .

١١ . ُ = ضمة قصيرة .

بين يدي البحث

الصوت اللغّوي وتطوره

يُكوّن علم الأصوات اللغوية في كلّ لغة ركناً رئيساً من أركان علم اللغة، وهي (أي الأصوات اللغوية) دائمةُ التغيُّر حسب الأزمنة والظروف المختلفة.

وبعض أصوات اللغة العربية -شأنها شأن غيرها من أصوات اللغات الأخرى - قد أصابها التغيُّر عبر القرون، بتغير الظروف البيئية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، واختلاط الناطقين بها بغيرهم من الأجناس.

وللعرب فضلٌ وسبقٌ في دراسة الأصوات اللغوية، يقول برْجشْتراسر الألماني: «لم يسبق الأوروربيين في علم الأصوات، إلا قومان: العرب والهنود»[1].

يقول فيرتْ الانجليزي: «إنَّ علمَ الأصوات قد نما وشب في خدمة لغتين هما السنكريتية والعربية»[2].

---

(١) التعريف بعلم اللغة، ص ١٠٠.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٠٠.

تعريف اللغة عند اللغويين القدامى والمحدثين

يقتصر هذا البحث على اللغة المسموعة المنطوقة، وهي التي تطغى على جميع وسائل التعبير الأخرى الممكنة (مثل لغة اللمس، ولغة البصر، ولغة الشم) بتنوُّع وسائل التعبير التي في طوْقها. وتُسمَّى أيضاً لغة الكلام أو اللغة الملفوظة[1].

واللغة المنطوقة هي التي عناها سيبويه في معرض حديثه عن (الحروف)، فهو يقول: «وهذه الحروف التي تممتُها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلُها التسعةُ والعشروف لاتتبيَّنُ إلاّ بالمُشافهة[2].

وَحَدُّ اللغة عند ابن جني «أنها أصواتٌ يُعَبِّر بها كل قوم عن أغراضهم»[3].

وهذا التعريف يتضمن ما يلي:

أ- طبيعة اللغة (من حيث كونها أصواتا).

ب- وظيفة اللغة الاجتماعية.

جـ- اختلاف اللغة وتنوّعها باختلاف المجتمعات الإنسانية، والتعريفات الحديثة للغة لا تكاد تخرج عن تعريف ابن جني لها، فهي توضح أنَّ اللغة (المنطوقة المسموعة) نظامٌ متكامل من الرموز الصوتية، وهذه الرموز

---

(١) اللغة، لفندريس، ٦/١.

(٢) كتاب سيبويه، ٤٣٢/٤.

(٣) الخصائص، ٣٣/١.

لاتحمل بطبيعتها قيمةً ذاتيةً تربطها بمدلولها في الواقع الخارجي، وإنّما تقومُ على العُرف الاجتماعي، أي تقوم على الاتفاق الكائن بين الأطراف التي تستخدمها في التعامل[1] .

علم اللغة: (Linguistics) .

علم اللغة هو دراسةُ بنية اللغة على نحو علمي، أي دراسة موضوعية، تقوم على الاستقراء والملاحظة والتجربة والاستنساخ، دون النظر في أصل نشأتها أو ما قد توحي به من معنى. ويكاد يتفق اللغويون المعاصرون على دراسة اللغة من الجوانب التالية :

١. **الأصوات اللغوية بنوعيها**[2] .

- التجريدي، هو الفونيتيك Phonetics .
- الوظيفي، وهو الفونولوجيا Phonology .

٢. **بناء الكلمة، الصرف** (Morphology)، وهو يُعنى بأبنية مفردات اللغة .

٣. **بناء الجملة (النحو)**، (Syntax) ، وهو يُعنى بتنظيم الجمل وتركيبها .

٤. **الدّلالة** (Semantics) ، وهو يُعنى بالمعاني السياقية والمعجمية .

وبما أنّ المنهج العلمي السائد في الدراسات اللغوية المعاصرة هو المنهج

---

(١) مدخل الى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، ص ١٠-١١.

(٢) انظر: ص ٦ – ص ٧ من هذا البحث.

التركيبي، اي الانطلاق من دراسة الوحدات الصغيرة إلى الوحدات الأكبر؛ لذا فدراسة الأصوات اللغوية تُعد حَجَر الزاوية في علم اللغة؛ فاللغة تتألف من أصوات تصدر من أعضاء النطق، ثم تتألف هذه الأصوات في أنْساق مختلفةٍ لتكوِّن الكلمات، ثم تتألف الكلمات في عدة أنساقٍ لتكوِّن الجمل[١].

وقد أدرك اللغويون العرب أهمية المنهج التركيبي هذا، وهو البدء بالمفرد ثم المركب، ولكن ابن جني اعتذر لبدئهم في تأليفهم بالمركَّب، وهو النحو لدقة علم الصرف (المفرد) وصعوبته[٢]، وقد أكد السكاكي معرفة هذا المنهج العلمي نظريةً وتطبيقاً، فبدأ دراسته بالأصوات فالصرف فالنحو، وبرَّر ذلك[٣].

علم الأصوات بين اللغويين المحدثين والقُدامى

يرى اللغويون المحدثون أنّ علم الأصوات اللغوي هو دراسة اصوات الكلام المنطوق، وينقسم هذا العلم إلى:

- **علم الأصوات فونيتيك:**

وهو العلم الذي ينظر إلى الأصوات في حد ذاتها، ويدرس صفاتها من حيثُ إخراجُها بل وحتى من حيثُ سماعُها.

---

(١) مدخل الى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، ص ٢٩.

(٢) المنصف، ١/٤-٥، وتبعه ابن عصفور، الممتع /٣٠-٣١.

(٣) مفتاح العلوم، ص ٣-٤.

- **والى علم وظائف الأصوات فونولوجيا:**

وهو علم يدرس الأصوات من حيثُ وظائفها في الاستعمال اللغوي[١] فالفونتيك (Phonetics): هو علم دراسة المادة الصوتية وطبيعتها وخصائصها التركيبية المادية دون النظر لقيمتها اللغوية. ويُدرسُ من ثلاثة جوانب وثيقةِ الصلة ببعضها وهي:

أ- **علم الأصوات النطقي أو الفسيولوجي:**

(Artiticulatory or Physiological Phonetics)

وهو يدرسُ نشاط المتكلم بالنظر في أعضاء النطق، وما يعرضُ لها من حركات فيعُيِّنُ هذه الأعضاء ويحدِّدُ وظائفها ودور كلٍّ منها في عملية النطق[٢]. وعلى هذا الجانب من دراسة الأصوات (أي علم الأصوات الفسيولوجي) اعتمد العرب أساساً في دراستهم اللغة العربية، وتحديدهم لمخارج الأصوات وتميز صفاتها، فقد عرفوا أعضاء النطق، ووصفوها بدقة، وذكروا دورها في إنتاج الأصوات ابتداءً من الرئة حتى الشفتين[٣]، يقول إخوان الصفاء بهذا الصدد "واعلم أنَّ الحروف اللفظية إنما هي تحدثُ في الحلقوم والحنك وبين اللسان والشفتين عند خروج النفس من الرئة"[٤].

---

(١) دروس في علم اصوات العربية، لجان كانتينو، ص ١٧.

(٢) علم اللغة العام – الأصوات، د. كمال بشر، ص ١٥.

(٣) انظر على سبيل المثال: كتاب العين، ١/٥٨، كتاب سيبويه ٤/٤٣٣، المقتضب ١/١٩٢-١٩٤، جمهرة اللغة، ١/٤.

(٤) رسائل اخوان الصفا، ١/٣٩٣.

وقد شبه ابن جنّي عمل جهاز النطق بالنّاي[١]. هو تشبيه ينمّ عن عُمق تذوقه للأصوات، ودقّة إحساسه بعمل أعضاء النطق

ولابن سينا دورٌ مُميّز، ونظرات خاصة في وصف أعضاء النطق وتشريح جهاز الصوت، وتشريحُه للحنجرة واللسان في رسالة أسباب حدوث الحروف يتسم بالدقة والدِّراية والعُمق[٢] يقول ابن سينا في كتابه "القانون في الطب" في وصف أعضاء النطق ودورها في إنتاج الأصوات: «الصوت فاعلة العضل التي عند الحنجرة . . . وقرعهُ وآلته الحنجرة والجسم الشبيه بلسان المزمار، وهي الآلة الأولى الحقيقية وسائر الآلات بواعث ومُعينات. وباعث مادته الحجاب وعضلُ الصدر. ومُؤدّى مادته الرئة، ومادته الهواء الذي يموجُ عند الحنجرة»[٣].

والفخرُ الرازي يرى ضرورة معرفة أعضاء النطق بدقة والوقوف على علم التشريح لمعرفة سبب حدوث الصوت وأحوال مخارجه ومحابسه، «فلا شلك أنَّ هذه الحروف تتولد عند تقطيع الصوت، وهي مخصوصة في الحلق واللسان والأسنان والشفتين، فجيب البحث عن أحوال تلك المحابس . . وهذه المباحث لا تتم دلالتها إلاّ عند الوقوف على علم التشريح»[٤].

والباحث لا يجد اختلافاً كبيراً بين وصف اللغويين العرب القدامى

---

(١) سر صناعة الاعراب، ١/٩.

(٢) رسالة أسباب حدوث الحروف، ص ٦٤-٧١.

(٣) القانون في الطب، ٢/٢٢٥.

(٤) التفسير الكبير، ١/١١.

لأعضاء النطق ووصف اللغويين المحدثين لهذه الأعضاء[١]، سوى عدم ذكر اللغويين العرب للأوتار الصوتية ودورها في إنتاج الأصوات اللغوية[٢] .

ب- علم اللغة الأوكستيكي أو الفيزيائي:

(Acoustic or Physical phonetics)

وهو علم يدرسُ الأصوات اللغوية بعد نطقها، أي من حيث انتقالها الى الأذن، وموجاتها، والعوامل المؤثرة في ذلك، «ووظيفة هذا الفرع دراسة التركيب الطبيعي للأصوات، فهو الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء بوصفها ناتجة عن ذبذبات ذرات الهواء في الجهاز النطقي المصاحبة لحركات أعضاء هذا الجهاز»[٣] .

وقد درس العرب القدامى طبيعة الصوت وحاولوا معرفة ماهيته، فالصوت كما يقول ابن سينا «يحدث عن قلع أو قرع ومقاومة الجسم المقروع . . . ويجب أن يُتعرف هل الصوت هو نفس القرع أو القلع، أو هو حركة موجيّة تعرض للهواء من ذلك، أو شيء ثالث يتولد من ذلك أو يقارنه . . . ليس القلع والقرع بصوت، بل أن كان ولا بد، فسببا الصوت. وأما الحركة فقد يُتشكّك في أمرها، فيُظن أنَّ الصوت نفس تموج الهواء وليس كذلك أيضاً . . . فالصوتُ إذن عارض يعرض من هذه الحركة الموصوفة يتبعها ويكون معها، فإذا انتهى التموّج من الهواء أو الما " ء الى الصِّماخ، وهناك تجويف فيه

---

(١) انظر على سبيل المثال: مناهج البحث في اللغة – تمّام حسّان، ص ٧٢. أسس علم اللغة – ماريوباي، ص ٧٧–٧٩.

(٢) علم اللغة –الأصوات – كمال بشر، ص ٨٨.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص١٧.

هواء راكد يتموج ماينتهي إليه وراءه كالجدار مفروش عليه العصب الحساس للصوت، أحسّ بالصوت[1]. فابن سينا يميز بدقة بين سبب الصوت وماهيته؛ فالصوت كما يفهم من عبارة ابن سينا السابقة - شيء مادي ملموس مسبب عن حركة، وهذا يتفق وما توصل إليه علماء الفيزياء في العصر الحاضر.

وفي طبيعة الصوت وسبب حدوثه يقول الرازي: «يُقال إنّ النّظام المتكلم كان يزعم أن الصوت جسم . . . وقيل سببه (أي الصوت) تموُّج الهواء . . . وأما سب التموج فإمساك عنيف، وهو القرع، أو تفريق عنيف، وهو القلع[2].

جـ- علم الأصوات السمعي: (Auditory Phonetics)

وهو يقع ضمن مجال وظائف أعضاء السمع عند الإنسان وعرف اللغويون العرب القدامى أعضاء السمع ووظيفتها في إدراك الأصوات وتمييزهان بدقة[3].

وأما الفونولوجيا (phonology) فهوعلم تنظيم المادة الصوتية وتقنينها، ودراسة وظيفتها اللغوية.

والمتعارف عليه في الوقت الحاضر تخصيص علم الفوناتيك لدراسة الصوت المنطوق بالفعل وهو الألوفون (Allophone)، وتخصيص علم الفونولوجيا لدراسة الوحدة الصوتية أو الصورة الذهنية للصوت وهو الفونيم (Phoneme).

---

(١) كتاب الشفاء - الطبيعيات (٦)، ص ٧٠-٧١.

(٢) التفسير الكبير، ٢٩/١.

(٣) انظر ص ١٨/١٧ من هذا البحث.

والفـونيم هو وحـدةُ الصـوت اللغـوي، ويمكن تحليله الى عـدد من الألوفونات المتمايزة حسب وروده في الكلام[١]. ولكن مهما تعددت أصوات الفونيم فيمكن أن يُرمز إليه في الكتابة برمز واحد.

ويُعرّف الدكتور كمال بشر الفونيم بأنه «وحدة صوتية قادرة على التفريق بين معاني الكلمات، وليست حدَثاً منطوقاً بالفعل في سياق محدد؛ فالفونيمات أنماطٌ للأصوات، والمنطوق بالفعل هو صورها وأمثلتها الجزئية التي تختلف من سياق إلى آخر، (فالكاف) فونيم وكذلك (الجيم) (والقاف)، أما الصور النطقية المُختلفة لكل واحد منها فهي أمثلتها (Variants) أو (Allophones). والفونيمات – بهذا المعنى محدودة معدودة في كل لغة،

ولكن صورها النطقية أو الأحداث النطقية الفعلية فكثيرة كثرةً فائقة[٢].

يقول ماريوباي إنَّ الفونيم "أقرب إلى أن يكون شيئاً تجريديّاً، أو نظرياً، فهو وحدة ذهنية ... يشتمل في الكثير الأعم على مجموعة من الألوفونات المتشابهة أو التنوُّعات الصوتية التي يتوقف استعمالُ كلٍّ منها أساساً على موقعه في الكلمة وعلى الأصوات المجاورة له ... وهذه التشكيلات الصوتية (الألوفونات) تصدر على المتكلم بلغته بدون وعي، ودون أنّ يفطن الى الفروق بينها في العادة[٣].

وقد أدرك اللغويون العرب القداى الفرق بين ما يُعرف الآن بعلم الفوناتيك، وما يُعرف بعلم الفونولوجيا، ودعَوْهما المنفرد والمؤَلَّف، يقول ابن

---

(١) دراسة الصوت الغوي، احمد مختار عمر، ص ١٥٥.

(٢) علم اللغة العام (الأصوات، د/ كمال بشر، ص ٣١-٣٢.

(٣) اسس علم اللغة، ماريو باي، ص ٨٨.

جني: «وليس غرضنا من هذا الكتاب ذكر هذه الحروف (يعني حروف أصوات اللغة العربية) مُؤلَّفة، لأن ذلك كان يقود إلى استيعاب جميع اللغة، وهذا مما يطول جداً، وليس عليه عقدنا هذا الكتاب، (أي كتاب سر صناعة الإعراب)؛ وإنما الغرض فيه ذكر أحوال الحروف مصوغةً فيها لما يخصُّها من القول في أنفُسها[1].

منهج دراسة الأصوات اللغوية بين اللغويين العرب القدامى واللغويين المحدثين

درس اللغويون العرب القدامى الأصوات اللغوية دراسةً تحليلية؛ فصورة الصوت الذهنية (أي الحرف، وما يُعرف الآن بالفونيم) كانت جاهزةً لديهم؛ فقد وصلت إليهم عن طريق الرسم (أي الرمز الكتابي للصوت فعدوها الصوت الأصلي وما يعتريها من تغيير في أثناء النطق السياقي عدوه فرعا؛ (الفنون) مثلاً صوت أصلي، (والنون الخفيفة) فرع، والهمزة صوت أصلي (والهمزة التي بين بين) فرع منه، وهكذا[2] . . .

وأما اللغويون المحدثون فينهجون النهج التركيبي في دراسة الأصوات اللغوية، فهم يلحظون ويسجلون الأصوات المنطوقة بالفعل، أي الأصوات الصوتية (الألوفونات)، ويُصنِّفون المتشابه منها في صورة ذهنية، تُشكِّل وحدةً صوتيةً، لها رمز كتابي مستقل، وهو ما يعدونه بالفونيم (phoneme) .

---

(١) سر صناعة الإعراب، ٤/١.

(٢) انظر كتاب سيبويه، ٤/٤٣١، ٤٣٢.

الحروف والصوت

حرفُ الشيء -لغة- حدُّه وطرفُه وشفيرُه[١]. (وحرف الصوت)- كما يُفهم من كلام اللغويين العرب القدامي -هو حدُّ الصوت وانقطاعه ونهايته. يقول ابن جنّي (توفي عام ٣٩٢هـ) سُميتْ حروف المعجم حروفاً، وذلك أنّ الحرف حدُّ مُنْقَطَعِ الصوت وغايتُه وطرفُه، كحرف الحَبْل ونحوه، ويجوز أن تكون سُميت حروفا لأنها جهات للكَلِمِ ونواحٍ، كحروف الشيء وجهاته المُحدقة به[٢].

فالحرف ف -كما يفهم من كلا ابن جني السابق - هو اصطلاح لتحديد الصوت وتمييزه عن غيره من الأصوات، فالحروف تختلف أجراسُها حسب اختلاف مقاطعها أي حروفها[٣]. ويوضح الدكتور محيي الدين رمضان، قول ابن جني بدقة "فقد سُمي الموضع الذي قُطع عنده الصوت حرفا، ولهذا اختلف أنغام المقاطع أي الحروف"[٤].

ويميِّز إخوان الصفا (القرن الرابع الهجري) بين (الحروف اللفظية والحروف الخطية) "فالحروف الخطية إنما وضعت سمات ليُستدلَّ بها على الحروف اللفظية . . والحروف اللفظية إنما هي أصوات تحدث في الحلقوم والحنك، وبين اللسان والشفتين عند خروج النَّفَس من الرئة[٥]. وهذا تمييز

---

(١) القاموس المحيط، باب الفاء، فصل الحاء.

(٢) سر صناعة الإعراب، ١/١٦.

(٣) المصدر السابق نفسه، ١/٦.

(٤) في صوتيات العربية، ص ٦٤.

(٥) رسائل أخوان الصفا، ١/٣٩٣.

واضح بين رمز الصوت وصورته الكتابية، وبين حرف الصوت الذي يُراد به مقطع الصوت اللفظي (الفعلي).

ويُعرِّف ابن سينا (توفي سنة ٤٢٨هـ). (الحرف) بأنه "هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدّة والثِّقل تميُّزاً في المسموع"[١] ووجود الحرف وحدوثه "في الآن الفاصَل بين زَمان الحَبْس وزمان الإطلاق"[٢] (أي الفترة الزمنيّة الحالّة بين انقضاء نطق صوت ما، وبين البدء في النطق بصوت) وآخر، وهو تعريف ينم عن دقة بالغة، وحسّ لغوي مرهف.

والحرف -عند الفخر الرازي (توفي سنة ٦٠٦هـ) - هو الطَّرف، "والحروف أطراف الأصوات ومباديها"[٣] وهو كثيراً ما يستعملُ مصطلح (الحروف والأصوات) معاً. ويُفهم من كلامه أنه يَعني (بالحرف) مبدأ الصوت، وكذلك الصوت الآني (الانفجاري) مثل الباء والتاء، وهو يعني (بالأصوات) المصوِّتات، وكذلك الأصوات الممتدة في الزمان (الاحتكاكية) كالحاء والخاء والسين والشين[٤].

ومعنى الحرف -لغة- كما يرى الخفاجي الحلبي (توفي سنة ٤٦٦هـ) "حدُّ الشيء وحدتُه، ومن ذلك حرف السَّيف إنما هو حَدَّه وناحيته، وطعام

(١) رسالة اسباب حدوث الحروف، ص ٦٠، انظر أيضاً الأصوات ومخارج الحروف، ص ١٨.

(٢) الأصوات ومخارج الحروف، تحقيق: فؤاد حنا ترزي، ص ١٨.

(٣) التفسير الكبير، ١/٣٠.

(٤) المصدر السابق نفسه، ١/٢٩-٣١.

حرّيف: يُراد به الحدّة[1]. وحرفُ الصوت -حسب رأيه- هو طرفه وأوله، وهو الحد الفاصل الذي يميز بين صوت وآخر ويحدِّد سمةَ كلِّ صوت، "والحروف تختلف باختلاف مقاطع الصوت، حتى شبّه بعضُهم الحلقَ والفم بالناي لأن الصوتَ يخرج مستطيلاً ساذجاً، فإذا وُضعتْ الأنامل على خروقه ووقعت المزاوجة بينها سُمع لكل حرف منها صوت لا يشبه صاحبَه، فكذلك إذا وقع الصوت في الحلق والفم بالاعتماد على جهات مختلفة سُمعت الأصوات المختلفةُ التي هي حروف"[2].

والحرف عند ابن الجزري (توفي سنة ٨٣٣هـ)، قد يعني اللغة، يقول ابن الجزرّي في معرض تفسيره الحديث الشريف (أُنزل القرآنُ على سبعة أحرف): "قال الحافظ أبو عمرو الدّاني: معنى الأحرف التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم ها هنا يتوجه الى وجْهين: أحدهما أن يعني أنَّ القرآن نزل على سبعة أوجه من اللغات . . ."[3].

ومن المتأخرين الذين وضحوا مدلول (مصطلح الحرف والصوت) محمد بن عبد السلام (توفي سنة ١٧٩٩م)، فهو يقول في شرح منظومة (مخارج الحروف) لأبي القاسم الشاطبي (توفي سنة ١١٩٦م) "والحروف جمع حرف رطرف الشيء ومنتهاه، ويراد بالشيء هنا الصوت، فالحرف إذن منتهى الصوت وغايته"[4].

---

(١) سر الفصاحة، ص٢٣.

(٢) سر الفصاحة، ٢٦.

(٣) النشر في القراءات العشر، ١/٢٣.

(٤) مجلة الفكر العربي، العددان: ٩/٨، ص ١٧٤-١٧٥، الكاتبة أوديت بتي.

وقد ميز سيبويه الرمزَ الكتابي للحرف من الصوت المنطوق المسموع، فقد ذكر أنَّ صورَ الحروف (الأصلية) تسعٌ وعشرون، وأنَّ أصوات هذه الرموز تبلغ اثنين وأربعين صوتاً[١]. وهو عندما يتحدث عن (الحروف) فإنه يتحدث عن لغة منطوقة أي عن أصوات لغوية، "وهذه الحروف التي تمَّمْتُها اثنين واربعين جيدها ورديئها، أصلُها التسعة والعشرون، لاتُتبيَّن إلا بالمشافهة[٢].

واللفظ -كما يقول ابن جني- وُجد قبل الخط الذي هو صورة للفظي أو الصوت، "جميع هذه الحروف إنما وجب إثباتُها واعتدادُها لما كانت موجودة في اللفظ الذي هو قبل الخط"[٣].

ومصطلح (الحرف) كما يفهمه اللغويون المعاصرون، هو رمز الصوت وصورته (أي رسمه الكتابي، فهو "رمز كتابي (أو بصري) للصوت، ووضعُ الرمز اصطلاح لا أكثر ولا أقل، أي أنّ العلاقة بين الرمز ومدلوله علاقةٌ اعتباطية، لامنطقية ولا طبيعية[٤].

ويفرق الدكتور تمّام حسّان بصورة حادة بين الصوت والحروف، يقول: «والفرق واضح بين العمل الحركي الذي للصوت، وبين الإدراك الذهني الذي للحرف، أي بين ما هو مادي ومحسوس وبين ما هو معنوي مفهوم[٥].

---

(١) كتاب سيبويه، ٤/٤٣١-٤٣٢.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٤٣٢.

(٣) سر صناعة الاعراب، ١/٤٨.

(٤) مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص ٨.

(٥) اللغة العربية: معناها وبناها، د. تمام حسان، ص ٧٣.

وأرى أنه لا مبرر للتفريق الحاد بين مصطلح الحرف، ومصطلح الصوت؛ فالحرف لغةً -كما اتضح لنا في البحث- هو الحدّ والطرف، والحرف -اصطلاحاً- هو حرفُ الصوت، أي حده وطرفه ومقعطه؛ فالعلاقة قوية بين مصطلح الحرف ومصطلح الصوت، غير أنَّ مصطلح الحرف أكثر دقة ودلالةً وتخصُّصاً. وليس الأمر كما يقول الدكتور داود عبده "الصوت اللغوي شيء والحرف الذي هو مجردُ رمزٍ كتابي لهذا الصوت شيء آخر"[1].

ومصطلح (حرف) الذي استخدمه اللغويون العرب القدامى، أكثرُ دقةً واختصاصاً من مصطلح (صوت) للتعبير عن الأصوات اللغوية، وقد أدرك اللغويون العرب هذا المفهوم يقول ابن جني: "الصوت عام غير مختص، يُقال: سمعت صوت الرجل وصوت الحمار"[2].

ويرى الدكتور علي الحمد "أن مصطلح الحرف الذي ارتضاه القدماء لم يكن غائماً ولا قاصراً، بل كان دقيقاً دالاً، وأصدق تعبيراً عن المعنى المقصود من المصطلح الحديث"[3].

وبناء على قناعتنا بدقة ودلالة مصطلح (الحرف فإننا نستعمله في هذا البحث مرادفاً لمصطلح (الصوت)، ومصطلح (حرف الصوت).

---

(١) أبحاث في اللغة العربية، ص ٧.

(٢) سر صناعة الإعراب، ١/١١.

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ص ٧٤-٧٥.

عددُ الحروف العربية عندَ الخليل بن أحمد تسعةٌ وعشرون حرفاً، وقد رتَّبها الخليلُ حسبَ مخرجها من الحلق حتى الشفتين، وهي: (ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ث، ذ، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ى، همزة)[1].

والحروف عند سيبويه عددها تسعة وعشرون أيضاً، ولكنها تختلف في مخارجها عما ذكره الخليل، وسيبويه يرتب مخارج (الحروف) من الحلق الى الشفتين كالخليل "فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والتاء، والفاء، والباء، والميم، والواو"[2].

ويتفق ابن جني والخليل وسيبويه في عدد (الحروف)، إلاّ أنه يخالف الخليل في ترتيب كثير منها، ويخالف سيبويه في ترتيب حروف: القاف، والكاف، والجيم، والضاد، رغم أنه يقول باتقافه مع سيبويه في هذا الترتيب: "فهذا ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها، وهو الصحيح. فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب، ومخالفةٌ لما قدمناه آنفاً، مما رتبه سيبويه وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته[3].

---

(١) كتاب العين، ١/٤٨.

(٢) كتاب سيبويه، ٤/٤٣١.

(٣) سر صناعة الإعراب، ١/٥٠-٥١.

ويزعم ابن جنّي أنّ أبا العباس المبرّد أخرج (الهمزة) من جملة الحروف الأصول "واحتجاجه في ذلك-أي المبرّد- بأنها لاتثبت صورتها[1]. وأرى أنّ ابن جني قد التبس عليه كلام المبرّد فتوهم أنه أخرجالهمزة من جملة الحروف الأصول، وتبعه عدد من اللغويين العرب القدامى فادّعوا أنَّ عدّد الحروف عند المبرّد ثمانيةٌ وعشرون، و أنَّه اخرج الهمزة من جملة الحروف الأصول لأنها "لاتثبتُ على صورة واحدة[2]. ويشايعهم في هذا الرأي الدكتور خليل العطية من اللغويين المعاصرين[3].

وعبارة المبّرد: "اعلم أنّ الحروف العربية خمسةٌ وثلاثون حرفا منها ثمانية وعشرون لها صورة"[4]، لاتعني أكثر من انّ الهمزة لاصورة ثابتة لها في الخط، وهذا ما هدف إليه المبرّد كما أعتقد، ولاتدل على أن المبرّد رمى إلى إخراج الهمزة من جملة الحروف الأصول، وأن عدد الحروف العربية عنده تسعة وعشرون حرفاً. يقول المبرد: "فمنها -أي الحروف- للحلق ثلاثة مخارج: فمن أقصى الحلق مخرجُ الهمزة وهي أبعد الحروف، ويليها في البعد مخرج الهاء . . .[5].

ويعد المبرّد الهمزة من الحروف الشديدة "والشديدة نحو ذلك الهمزة، والقاف والكاف، والتاء . . .[6]

(١) المصدر السابق نفسه، ٤٨/١.

(٢) انظر: الممتع في التصريف، ٦٣٣/٢، همع الهوامع، ٢٠٧.

(٣) انظر: في البحث الصوتي عند العرب، ص ٣١.

(٤) المقتضب، ١٩٢/١.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ١٩٢/١.

(٦) المصدر السابق نفسه، ١٩٥/١، انظر ايضاً المصدر نفسه، ص ١٩٤/١٩٨/ ٢٠٣/٢٠٧.

تبيّن لنا -مما سبق ذكره- أن عدد أصوات اللغة العربية عند اللغويين القدماء، ومنهم المبرّد، تسعة وعشرون صوتاً[1]. وأنهم ذكروا للألف اسمين ورمزين:

- الألف الممدودة، في مثل قال.
- والألف الصامتة (أي الهمزة) في مثل سأل.

ولم يذكروا للواو والياء إلا رمزاً واحداً واسماً واحداً، وهو المد واللين أو اللين حسب.

واللغويون المحدثون يرون أنَّ (الألف، والواو، والياء) أصواتٌ صائتة، فهي تدخل ضمن النظام الحركي للأصوات اللغوية، وأنَّ (الواو والياء) اذا تحركتا مثل: وجد، يجد، أو وقعتا ساكنتين وقبلهما فتحة مثل: قول، بيع، تُعدان من الأصوات الصامتة، أو شبه الصائتة (Semi - Vowels)[2].

وعلى هذا الأساس فالأصوات الصامتة في اللغة العربية الفصيحة المعاصرة (أي كما ينطقها مجيدو القراءات القرآنية في الوقت الحاضر، أو المتقنون لأصوات اللغة العربية) ثمانيةٌ وعشرون صوتاً، وهي: الهمزة (همزة القطع)، الباء، التاء، الثاء، الجيم، الحاء، الخاء، الدا، الذال، الراء، الزاء، السين، الشين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، العين، الغين، الفاء، القاف،

---

(١) انظر مفتاح العلوم للسالكي، ص ٤/الممتع في التصريف لابن عصفور ٦٦٣/٢/ همع الهوامع ٢٢٧/٢.

(٢) ماز بعض اللغويون العرب القدامى الواو والياء المديتين اللينتين، من الواو والياء اللينتين (حسب)، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً.

الكاف، اللام، الميم، النون، الهاء، الواو (المتحركة) الياء (المتحركة مثل، يَعد، يُسْأل، والساكنة المفتوح ما قبلها مثل، بَيْت).

وعدد الأصوات الصائتةُ ستة وهي:

- الفتحة القصيرة في مثل: رَسَم (الفتحة تلي الراء والسين).
- الفتحة الطويلة في مثل: قال (الألف الممدودة).
- الكسرة القصيرة في مثل: دُرِس (الكسرة تلي الراء).
- الكسرة الطويلة في مثل: قيلَ (الياء الممدودة).
- الضمة القصيرة في مثل: كُتب (الضمة القصيرة تلي صوت الكاف).
- الضمة الطويلة في مثل: يقول (الواو المدودة)[1].

والصوت الصامت -كما يرى اللغويون المحدثون- هو "الصوت المجهور، أو المهموس، الذي يَحدث في أثناء النطق به اعتراضٌ أو عائق في مجرى الهواء، سواء أكان الاعتراض كاملاً كما في نطق (الدال)، أو كان الاعتراض اعتراضاً جزئياً من شأنه أنْ يسمح بمرور الهواء ولكن بصورة ينتج عنها احتكاك مسموع"[2].

---

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسن ز ص ٧٢-٧٣ ايضاً علم اللغة العام - الأصوات، ص ٨٣.

(٢) علم اللغة العام - الاصوات، ص ٧٤، انظر ايضاً: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الانطاكي، ص ٢٥.

والصوت الصائت هو: " الصوت المجهور[1] الذي يحدث في أثناء النطق به أن يمر الهواء حراً طليقاً خلال الحلق والفم، دون أن يقف في طريقه أيُّ عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يُحدث احتكاكاً مسموعاً"[2].

وترتيب حروف الهجاء، كما هو معروف عندنا الآن (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، . . .) هو من وضع النساخ، حيث "وضعوا الرموز المتشابهة الصورة بعضها بجوار بعض، ومن هنا جاء الترتيب الهجائي المألوف"[3].

---

(١) لايكون الصائت إلا مجهوراً.

(٢) علم اللغة العام- الاصوات، ص ٧٤.

(٣) المدخل الى علم الغة ومناهج البحث اللغوي، د، رمضان عبد التواب، ص ١٥.

الباب الأول

الصوامت

الفصل الأول

الصوامت

ماهيتها وصفاتها ومخارجها بين القديم والحديث

ماهية الصوامت

يقسم اللغويون المحدثون الأصوات اللغوية العربية إلى أصوات صامتة (Consonants) ، وأصوات صائتة (Vowels) وقد سبق التعريف بكل قسم منها[١] .

والأصوات الصامتة في اللغة العربية في مستواها الفصيح ثمانية وعشرون صوتاً، وهي[٢] : الهمزة (همزة القطع ، الباء ، التاء ، الثاء ، الجيم ، الحاء ، الخاء ، الدال ، الذال ، الراء ، الزاء ، السين ، الشين ، الصاد ، الضاد ، الطاء ، الظاء ، العين ، الغين ، الفاء ، القاف ، الكاف ، اللام ، الميم ، النون ، الهاء ، الواو ، (المتحركة) بأية حركة مثل وُعد ، والساكنة المفتوح ما قبلها مثل قَوْم) ، الياء المتحركة ، مثل يقوم ، يُسافر ، والساكنة المفتوح ما قبلها ، مثل : بيْت)[٣] .

ويوضح الدكتور "كمال بشر اعتبار اللغويين الواو والياء (غير المدِّيتين)[٤] من الأصوات الصامتة ، قائلاً : "الواو والياء في اللغة العربية من

---

(١) انظر، ص ٣١/٣٢ من هذا البحث.

(٢) سبق ذكر الأصوات الصامتة، ولكن سياق البحث يتطب إعادة ذكرها.

(٣) انظر: اللغة العربية، معناها ومبناها، ص ٧٢-٧٣، علم اللغة العام (الأصوات) د. كمال بشر، ص ٨٣.

(٤) الواو والياء غير المديتين هما المذكورتان آنفاً، أما الواو والياء المديتان فهما المسبوقتان بحركة من جنسهما، مثل: الواو في (نصُوم) والياء في (نسِير).

الأصوات الصامتة في سياقين صوتيين مُعَيّنين هما :

١ . إذا أُتبعتِ الواو والياءُ بحركةٍ من أي نوع[١] .

٢ . إذا وقعتا ساكنتين وقبلهما فتحة .

ولكن يجب ألاّ ننسى أنهما في هاتين الحالتين لهما شَبَه نطقي بالحركات ، كما أنَّ لهما شَبَها وظيفياً بالأصوات الصامتة من جهة أخرى . ولهذا يُطلق عليهما العلماء في هاتين الحالتين أنصاف الحركات (Semi- Vowels) . وليس هناك أبداً ما يمنع من تسميتها أنصافَ صوامت[٢] .

والدكتور أحمد مختار عمر يُطلق عليها اسمَ (أنصاف العلل)[٣] . ويسمي الأستاذ محمد الأنطاكي الياء الصامتة شبه طليقة ، ويوضح خصائصها الصوتية ومخرجها ، فاللسان معها أكثرُ ارتفاعاً منه مع الصائتة ، وهذا الارتفاع الزائد يُضيق الفرجة في الفم ويؤدي الى احتكاك الهواء وحدوث حفيف خفيف يجعل هذه الياء تسلك في زمرة الحبيسات لا الطليقات . ويضيف الأنطاكي أنّ النحاة ميّزوا بين الياء الطليقة وشبه الطليقة ؛ فسمَّوا الطليقة حرف مد ، وطابعها أن تكون ساكنة مسبوقة بكسره كما في (عيد) بكسر العين ، وسمَّوا الشبيهه بالطليقة حرف لين مرة مثل بَيْت ، وحرف علة أخرى ، مثل : يَعِد[٤] .

---

(١) مثل: وَعد، الفتحة تبعت الواو .

(٢) علم اللغة العام (الأصوت)، د. كمال بشر، ص ٨٥-٨٦، اللغة لفندريس، ص ٥١.

(٣) دراسة الصوت اللغوي، ص ٢٨٣ .

(٤) المحيط، ٣٦/١ (الحاشية).

ويُسمي الأستاذ محمد الأنطاكي الواو الصامتة شبه طليقة أيضاً، والفرق بينهما وبين الصائتة -كما يقول- هو أنّ الانفراج بين مؤخر اللسان وأقصى الحنك أقل اتساعاً، مما يُؤدي إلى احتكاك الهواء بباطن الشفتين، ينتج عنه حفيف خفيف، مما يجعل هذه الواو (شبه الطليقة) تسلك مسلك الصوامت، وقد سمى النحاة -كما يقول الاستاذ الانطاكي- الواو المسبوقة بضم حرف مد (أي مسبوقة بحركة مجانسة للواو) مثل سُور. والمسبوقة بحركة غير مجانسَة حرف لين، مثل: لَوْ، وسَمّوها حرف علّة إذا تحركت، مثل: وَجد[1].

ويقــــول (David Crystal) إنَّ أنصـــاف العلل - Semi) (Vowels تعمل -وظيفيّاً- عمل السواكن، ولكنها تفتقر الى خواص السواكن مثل الاحتكاك والإغلاق، وهي صوتيا لها خصائص أصوات الصوائت نفسها، ولكن مدتها الزمنية أقل[2].

ويميز الدكتور داود عبده الخصائص الصرفية لياء "شبه العلة" من ياء "علة طويلة" في مثل: "لم تَسْعَيْ ولم تذهبي، رغم أنَّ الأولي تمثل شبه عله (لايختلف عن الأصوات الصحيحة)، والثانية علة طويلة. كما أنّ الاختلاف في نوع القواعد التي تنطبق عليها في مثل لم تسعَي اليوم ولم تذهبي اليوم - وهو إضافة كسرة بعد الياء في المثال الأول وتقصير الكسرة الطويلة في المثال الثاني "[3].

---

(١) المحيط، ١/٣٧ (الحاشية).

(٢) A first Dictionary of Linguistics and Phonetics, p. 318.

(٣) دراسات في علم أصوات العربية، ص ١٠، انظر: أيضاً: أبحاث في اللغة

ويرى الباحث أنّ الواو المتبوعة بحركة (المتحركة)، لها خصائص الأصوات الصامتة ووظيفتها في بعض الصيغ الصرفية، مثل: مَفْعَل، مَفْعِل، مَفْعول، ويتضح لنا ذلك من الموازنة بين الصيغ التالية:

رَمَى	مَرْمى
طَوَى	مَطْوَى (ثبت الواو وأدت وظيفة الصوت الصامت)
نزل	مَنْزِل
وَرَدَ	مَوْرِد (ثبت الواو أيضاً وأدت وظيفة الصوت الصامت)
دَرَى	مَدْرِيّ
نَوَى	مَنْوِيّ

أدّت الواو وظيفة الصوت الصامت، مثل (الراء).

وبالإمكان ملاحظة مثل هذه الصيغ الصرفية، في صوت الياء المتبوعة بحركة (المتحركة) أيضاً.

مَيّز العرب القدامى بين نوعين من الأصوات منذ عهد الخليل بن أحمد، وهي عنده:

أ- الصحاح (الصوامت Consonants).

ب- الجُوف (الصوائت Vowels).

يقول الخليل: "في العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة

العربية، المؤلف نفسه، ص ٤٤-٤٥.

وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياناً (كذا)[1] ومدارج، وأربعة أحرف جُوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة[2]. وتمييز الخليل بن أحمد في نصه هذا بين نوعين من الأصوات (الصوامت والصوائت)، دليل على إدراكه خصائصَ كل نوع منها. وقد يكون الخليل أوّل من ميّز بين هذين النوعين من الأصوات. وأما اعتباره الهمزة من "أحرف الجُوف" فقد بحثناه بالتفصيل في موضوع الهمزة.

وقسم ابن جني الحروف الى صحيح ومعتل، يقول: "وللحروف قمسة اخرى الى الصحة والاعتلال، فجميع الحروف صحيح، ألاّ الألف والواو والياء، اللواتي هنّ حروف المد والاستطالة"[3].

وقد أدرك ابن جني الفرق الأساسي بين الأصوات الصحيحة (الصامتة)، والمعتلة (الصائتة)؛ فالصامتة ينحصر فيها الصوت شديدة كانت أم رخوة، وإن تفاوت هذا الحصر. والصائتة لاينحصر فيها الصوت لاتساع مخارجها، فيستمر فيها الصوت دون عائق حتى ينفد[4].

وقد استعمل ابن سينا مصطلح (الصامتة) ومصطلح الصائتة ودعاها (المصوتة) وهو المصطلح الذي يستعمله اللغويون العرب المحدثون في الوقت

---

(١) كذا وردت في كتاب العين، وفي تهذيب اللغة، للأزهري: "لها أحياناً" مدارج، ١/٤٨.

(٢) كتاب العين، ١/٥٧.

(٣) سر صناعةالاعراب، ١/٧١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧-٨ (بتصرف).

الحاضر[1].

والفخر الرازي (توفي سنة ٦٠٦هـ) يقسم الحروف الى مصوته وصوامت، " . . . وأما الصوامت فمنها ما لايمكن تمديده كالباء، والتاء والدال والطاء (يعني الانفجاري (plosive)، وهي لاتوجد إلاّ في الآن الذي هو آخر زمان حبس النفس وأوّل زمان إرساله . . . ومن الصوامت ما يمكن تمديدها بحسب الظاهر مثل الحاء والخاء "[2] (ويعني الأصوات الرخوة أو الاحتكاكية أوا لاستمرارية Fricative)، وفكرة الرازي هذه عن الأصوات الصامتة الانفجارية والاستمرارية فكرة موفقة، تنم عن إحساس لغوي سليم.

نلحظ أنه لايوجد خلاف بين اللغويين المحدثين والقدامى في هوية الأصوات الصامتة سوى في نقطتين:

أ- الهمزة (عند الخليل ومكّي بن أبي طالب)[3]، حيث صنفاها ضمن حروف العلة.

ب- الواو والياء (غير المدّيتين)، فالمحدثون يعدونهما من الأصوات الصامتة، والقدامى لم يعدوهما من الأصوات الصامتة، رغم تمييز بعضهم -بوضوح ودقة- الواو والياء المديتين من الواو والياء غير المديتين، كما مرّ معنا سابقا، فجميع الحروف عندهم " صحيح عدا

---

(١) رسالة أسباب حدوث الحروف، ٨٣-٨٤.

(٢) التفسير الكبير، للفخر الرازي، ١/٢٩-٣٠.

(٣) هذا حسب ما نعرف، وقد يكون تبعهما آخرون.

الألف والواو والياء"[1].

وحسب معطيات العلم الحديث لم تتحدد بعد هوية الهمزة، ولم تستقرّ شخصيتها، يقول الدكتور سلمان العاني: "تظهر الهمزة وهي بادئة (Initially) على صورة الاسبكتروجراف مختلفة في الشكل، فهي في بعض الحالات على هيئة فرقعة تتبعها فجوة سكون . . . وتتلو الفرقعة أحياناً ضجة ضعيفة، وفي حالات أخرى تظهر الهمزةُ على هيئة بداية انزلاق قصير تبدأ بها معالم الحركات التي تتلوها، وفي الحقيقة إنَّ الهمزة تبدو غير ثابتة ولا تشكل نمطاً محدوداً"[2].

ويقول عن الهمزة المتوسطة: "ولاتظهر الهمزة التي بين حركتين فجوة بل تظهر انزلاقاً شبيهاً بالحركة ويظهر الانزلاق في صور الاسبكتروجراف على هيئة رباط (Link) يصل معالم الحركات الثلاثة ببعضها"[3].

ويقول الدكتور "كمال بشر": "الهمزة صوت حنجري انفجاري لامجهور ولامهموس"[4].

والمتتبع أقوال الخليل بن أحمد في الهمزة قد يرى أقواله -لأول هلة- متباينة ونحن سنحاول في هذا البحث عرض اقواله في الهمزة محاولين تعليلها. يقول الخليل: "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة

---

(١) سر صناعة الاعراب، ٧١/١.

(٢) التشكيل الصوتي في اللغة العربية، د. سليمان العاني، ص ٩٥.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٩٧ت.

(٤) علم اللغة العام - الأصوات، ص ١١٢.

مضغوطة فإذا رُفّة عنها لانتْ فصارت الياء، والواو والألف عن غير طريق الحروف الصحاح "[1].

ويعلق الدكتور علي الحمد على قول الخليل هذا أنَّ الخليل قد أدرك " أنّ الهمزة إنْ كانت مُحقَّقة فمخرجها من أقصى الحلق . . . وأنّها قد يُرقَّه عنها فتلين[2]، فإنع لانت أصبحت حروف مد ولين (ياء أو واو أو الفا)، وخرجت في حالتها الجديدة عن طريق الحروف الصحاح[3]. ويضيف الدكتور علي الحمد أنَّ تمييز الخليل الدقيق بين الهمزة المضغوطة والهمزة المرفَّهة قد يفسِّر " سرّ إبدال الهمزة من الهاء والعين أحياناً لقرب مخرجها -مضغوطة- من مخرج هذين الحرفين، وسر إبدالها مرفَّهة من الألف والياء والواو أحياناً أخرى لاتحادها مع هذه الحروف في الحيز والمخرج. فالهمزة المبدَلة من الهاء والعين هي غير الهمزة المبدَلَة من الألف والواو والياء، فالأولى صحيحة (صامتة) مضغوطة من أقصى الحلق (حنجرية مزمارية)، والثانية لينة هوائية جوفية "[4].

ويقول الخليل في موطن آخر: "الهمزة في الهواء لم يكن لها حيّز تُنسب إليه[5]. وقد يبدو الخليل -لأول وهلة- مناقضا نفسه في هذا القول، ولعلنا نجد له عذرا بعد اكتشاف العلم الحديث عَدَم ثبات نمط الهمزة أو

---

(١) العين، ٥٢/١.

(٢) وهذا القول قريب مما أثبته الدكتور العاني مخبرياً، انظر نص العاني السابق.

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ص ٧٩.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٨٠.

(٥) العين، ٥٨/١.

استقرارها، إذ إنّ الهمزة في الحقيقة غير ثابتة ولاتشكل نمطاً محدداً، بل تظهر على هيئة انزلاق شبيه بالحركة ويظهر الانزلاق في صور الاسبكتروجراف على هيئة رباط يصل معالم الحركات الثلاثة ببعضها[1].

ويُعدُّ الخليل في أحد أقواله الهمزة من حروف العلة، وقد يُفهم من قوله هذا أنه قصد إشراكها مع الألف والواو والياء، صرفياً (فونولوجياً)، وليس صوتياً؛ فالهمزة كثيرة التغير، والانقلاب، والتسهيل، والحذف، يقول الخليل: «والعويص في الحروف المعتلة، وهي أربعة أحرف: الهمزة والألف اللينة والياء والواو . . . فأما الهمزة فلا هجاء لها، إنما تكتب مرة ألفاً ومرة واوا ومرة ياء. فأما الألف اللينة فلا صرف لها إنما هي جرسُ مدةٍ بعد فتحة . . .»[2].

ولم يقتصر اعتبار الهمزة حرف علّة على الخليل بن أحمد، فمكي بن أبي طالب عدّ الهمزة من حروف العلة؛ فحروف العلة عند مكي أربعة، وهي: الهمزة، والألف، والواو، والياء، وقد فسّر جمْعه لهذه الحروف بأن التغير والاعتلال والانقلاب لايكون في جميع كلام العرب إلاّ بها. وقد تدخل الهاء ضمن حروف العلة أيضاً لأنه تنقلب همزة في ماء وإيهات، لأنَّ أصلَه (ماه) وهيهات وشبهه[3]. ويعلل الميداني عدّ "الهمزة من حروف الاعتلال لأنّها تلين فتلحق بحروف العلة نحو سال وقرا في تخفيف سأل وقرأ[4].

---

(١) عن الدكتور سليمان العاني، انظر ص ٢١ من هذا البحث.

(٢) تهذيب اللغة، ١/٥١.

(٣) الرعاية، ص ١٢٨.

(٤) نزهةا لطرف في علة الصرف، ص ١٢.

وتتفق نظرة اللغويين المحدثين ونظرة ابن سينا بالنسبة لصوتي الواو والياء (الصامتتين والمصوّتتين)؛ فالواو، كما يقول ابن سينا صامتة ومصوِّتة، والياءكذلك صامتة ومصوِّتة، يقول ابن سينا: "وأما الواو الصامتة: فأنها تحدث حيث تحدث الفاء ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لايبلغ أنْ يمانعه في انضغاطه سطح الشفه، والواو المصوِّتة وأختها الضمة فأظن أنَّ مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس الى فوق. والياء الصامتة فأنهات تحدُث حيث تحدث الطاء والجيم، ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لايبلغ أن يُحدث صفيراً. الياء المصوّتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجها من إطلاق الهواء من أدنى تضييق للمخرج وميل سلس به إلى أسفل"[1].

في هذا النّص ميّز ابن سينا بين صوتي الواو والياء المديَّتين وأشار الى الخصائص الأساسية للأصوات الصامتة والصائتة؛ فالأصوات الصامتة لها مخرج محدّد وتنتج عن (ضغط وحفز الهواء)، والأصوات الصائتة لا مخرجَ محدداً لها، ولاتحدُثُ نتيجة ضغط وحفز، ولم يخرج المحدثون في تمييزهم بين الصوامت والصوائت عن هذا المفّهوم.

ولقد فطن الخليل بن أحمد إلى ميزة الواو والياء (غير المديتين) الصوتية والصرفية التشكيلية، "فالواو والياء إذا جاءتا بعد فتحة قويتا، وكذا إذا تحركتا كانت أقوى . . . والياء والواو إذا سكنتا[2] ولقيهما ساكن بعدهما فانهما

---

(١) رسالة اسباب حدوث الحروف، ص ٨٣-٨٤.

(٢) ونفهم من قوله هذا اذا كان ما قبلهما مفتوحاً، كما سيأتي في الأمثلة التي ذكرها.

يتحركان ولا يسقطان أبداً ... كقولك اخشَيِ الله . . واخشَوُا الله "[1].

أدرك ابن جني أيضا الخصائص الصرفية التشكيلية للياء والواو المتحركين، "فالياء، والواو لما تحركتا قويتا بالحركة، فلحقتا بالحروف الصحَّاح، فجازت مخالفة ما قبلها من الحركات إياهما . . . تقول الغُيُرُ والطِّول والعِوَض فتأتي بالياء بعد الضمة، وبالواو بعد الكسرة "[2].

ويُسمي مكي بن أبي طالب الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلها بحرفي لين حسب، مسقطاً عنهما صفة المد، لأنهما "نقصتا المد الذي في الألف وبقي فيهما اللين "[3]. وهذه -كما أرى- خصائص (أنصاف المد) (Semi - Vowels)، أو أنصاف سواكن) كما يسميها اللغويون المعاصرون.

وذكر ابن الجزْري "الياء غير المدية" وصنفها مع الحروف الشجريّة[4]. كما ذكر "الواو غير المدية"، وصنفها مع الحروف الشفهية[5].

لقد تبين لنا مما سبق بحثه أنّ اللغويين العرب القدامى قد أدركوا بدقة ووضوح خواص كلّ من الواو واليا، المدِّيتين وغير المديتين الصوتية والصرفية التشكيلية، وأنّ بعضهم نصّ على أنّ الواو والياء غير المديتين صوامت (ابن سينا)، ومنهم من نصّ على أنها صحاح (ابن جني)، إلاّ أنهم لم يضعوا للواو

---

(١) تهذيب اللغة، ١/٥٢.

(٢) سر صناعة الاعراب، ١/٢٢.

(٣) الرعاية، مكي، ص ١٢٦.

(٤) النشر في القراءات العشر، ١/٢٠٠.

(٥) النشر في القراءات العشر، ١/٢٠٠.

والياء (الصامتتين والصائتتين) إلاّ رمزا خطياً واحداً لكل منهما، في حين أنهم وضعوا لكل من الهمزة والألف الممدودة رمزاً خطياً مستقلا، وربما كان من المستحسن أن يُخَصص رمزٌ خطي مستقل لكل م الواو الصامتة والواو الصائتة، لتحديد خصائص كل صوت من هذه الأصوات وتمييزه من غيره.

صفات الأصوات الصامتة

صفة الصوت اللغوي هي: "الكيفية العارضة للصوت عند حصوله في المخرج؛ من جهر وهمس، وشدة ورخاوة، وإطباق وانفتاح، واستعلاء، وانسفال، ومدّ، ولين، وصفْر وتفشّ، واستطالة، وتكرير، وانحراف، وغُنَّة، وقلقلة، ونفْخ"[1].

وستتناول في هذا المقام أبرزَ الصفات الصوتية التي لها علاقة بالبحث.

١. المجهور والمهموس:

يُعرِّف سيبويه الصوت المجهور بأنه حرف أُشبع الاعتما في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد (عليه) ويجري الصوت.

والمهموس "حرف أُضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه"[2]. وقد اتّبع سيبويه في هذا التعريف معظم اللغويين والقُرّاء العرب

---

(١) مخارج الحروف وصفاتها، لابن الطحاوي، ص ٧٧ (الحاشية).

(٢) كتاب سيبويه، ٤/٤٣٤.

القدامى مثل: ابن جني[1] (توفي سنة ٣٩٢هـ)، والسكاكي[2]، (توفي سنة ٦٢٦هـ)، وابن يعيش[3] (توفي سنة ٦٤٣هـ)، وابن الجزْري[4] (توفي سنة ٨٣٣هـ).

وتعريفه هذا قد تنقصه الدقة، وقد يلتبس بتعريف الأصوات الشديدة عنده، فالشديد "هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه والرِّخو: أجريت فيه الصوت إن شئت"[5].

ويَلحظُ الباحث أنَّ سيبويه واللغويين العرب القدامى قد ميزوا الأصوات المجهورة من المهموسة بجريان النفس أو عدمه، وتحديد موضع الصوت (مخرجه)، والمحدثون يميزون بين هاتين الطائفتين بذذبة الأوتار الصوتية أو عدم ذبذبتها ولم يُشر اللغويون العرب القدامى -كما أعلم- إلى دور الأوتار الصوتية في إنتاج الأصوات، وهذا عائد الى معطيات عصرهم العلمية والتقنية.

والأصوات المجهورة عند سيبويه هي: الهمزة، الألف، ع، غ، ق، ج، ي، ض، ل، ن، ر، ط، د، ز، ظ، ذ، ب، م، و. وعددها تسعة عشر صوتاً[6].

---

(١) سر صناعة الإعراب، ٦٩/١.

(٢) مفتاح العلوم، ص ٤.

(٣) شرح المفصل، ١٢٨/١٠ت.

(٤) النشر في القراءات العشر، ٢٠٢،١ت.

(٥) كتاب سيبويه، ٤٣٤/٤-٤٣٥.

(٦) كتاب سيبويه، ٤، ٤٤.

وعلم الأصوات الحديث يعد الألف، والواو والياء المديتين، في مثل سور، سرير، أصواتاً صائتة، وهي لاتكون إلاّ مجهور، وتدخل ضمن النظام الحركي للأصوات العربية، وتُعد من الحركات الطويلة وتصنف منفردة.

والأصوات المهموسة عند سيبويه هي: ه، ح، خ، ك، ش، س، ت، ص، ث، ف[1]. وعددها عشر أصوات وابن جني يتفق وسيبويه في تحديد الأصوات المجهورة والمهموسة[2].

واللغويون المحدثون يعرفون الصوت المهموس (Voiceless) "بأنه الصوت الذي لاتتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به". والأصوات المهموسة عندهم هي: ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ. وعددها اثنا عشر صوتا[3].

والصوت المجهور (voiced)، عند المحدثين هو الصوت الذي تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به، والأصوات الصامتة المجهورة هي: ب، ج، د، ذ، ر، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، الواو والياء غير المديتين. وعددها خمسة عشر صوتا[4]. والهمزة صوت حنجري انفجاري لا مجهور

---

(١) المصدر نفسه، ٤/٤٣٤.

(٢) انظر: سر صناعة الاعراب، ١/٦٨-٦٩.

(٣) انظر: الاصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس، ص ٢١.
أيضاً: علم اللغة العام - الأصوات، د. كمال بشر، ص ٢١.
أيضاً: في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل العطية، ص ٣٨.

(٤) انظر: الأصوات اللغوية، ص ٢١، أيضاً: علم اللغة العام- الأصوات، ص ١١٢.

ولامهموس[1].

ويقرر الدكتور ابراهيم أنيس أنّ الأحرف المهموسة أشق في النطق من المجهورة لأنها تحتاج الى قدر أكبر من هواء الرئتين[2].

ويتفق المحدثون وعلماء اللغة العربية القدامى على تحديد الأصوات الصامتة المجهورة والمهموسة الاّ في أصوات: الطاء، والقاف، والهمزة، إذ حكم القدماء على هذه الأصوات بالجهر، في حين يقول المحدثون إنَّ الطاء والقاف مهموسان[3] والهمزة لامجهورة ولامهموسة.

٢. الأصوات الشديدة والرخوة (الانفجارية - الاحتكاكية أو الاستمرارية).

يقول سيبويه في تعريف الصوت الشديد: " ومن الحروف الشديدة، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه "[4].

والأصوات الشديدة عنده هي: الهمزة، ق، ك، ج، ط، ت، د، ب، (ن، م، ل، ر)[5].

والرخو عنده هو الذي تستطيع إجراء الصوت فيه إن شئت، والأصوات الرخوة هي: هـ، ح، غ، خ، ش، ص، ض، ز، س، ظ، ث،

---

(١) انظر: الأصوات اللغوية، ص ٨٣.

(٢) موسيقى الشعر، ص ٣٢.

(٣) سيأتي بحث هذه المسألة بالتفصيل في فصل الأصوات المتحولة.

(٤) كتاب سيبويه، ٤/٤٣٤.

(٥) المصدر السابق نفسه، ٤/٤٣٤-٤٣٥.

ذ، ف. وعددها ثلاثة عشر صوتاً. وصوت العين بين الشديد والرخو[١].

وقد أدرك سبويه أن الصوت الشديد يتكون نتيجة التقاء عضوين من أعضاد النطق التقاءً محكماً بحيث يمتنع جريان الصوت، فإذا انفصل العضوان فجأة حدث الصوت، وهو ما يسميه اللعويون المحدثون الصوت الانفجاري (Plosive)؛ فهو يعلل اعتبار اللام صوتاً شديداً مع أنَّ الصوت جرى فيه "الانحراف اللسان مع الصوت، وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك"[٢]؛ فاللام صوت شديد منحرف. ويعلل اعتباره الميم والنون شديدين على الرغم من جريان الصوت فيهما "لأن ذلك الصوت غُنَّة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف"[٣] ويعلل اعتباره الراء صوتاً شديداً مع جريان الصوت فيه، "لتكرره وانحرافه الى اللام"[٤].

ومعظم اللغويين القدامى اتبعوا سيبويه في تعريفهم للأصوات الشديدة والرخوة[٥].

وابن جنّي يصنف الأصوات الى شديدة ورخوة وبين الشديدة

---

(١) كتاب سيبويه، ٤/٤٣٤-٤٣٥.

(٢) المصدر السابق نفسه، ٤/٤٣٥.

(٣) كتاب سيبويه، ص ٤٣٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٣٥.

(٥) انظر على سبيل المثال: سر صناعة الاعراب، ٧٠/١١، شرح المفصل، ٨٠/ ١٢٩.

والرخوة. ويتفق معه في هذا التصنيف ابن يعيش[1]. فالأصوات الشديدة عندهما هي: الهمزة، ق، ك، ج، ط، د، ت، ب، مجموعة في (أجدت طبقك)، وعددها ثمانية. وهما في تصنيفها هذا يخالفان سيبويه؛ فهويعد (النون، الميم، واللام، والراء) أصواتاً شديدةً، وهما يعدانها (بين الشديدة والرخوة).

والأصوات بين الشديدة والرخوة عند ابن جني وابن يعيش هي: الألف، العين، الياء، اللام، النون، الراء، الميم، الواو ويجمعها في اللفظ (لم يَرْوِ عنا)، وعددها ثمانية. وباقي الأصوات كما يقول ابن جني وابن يعيش أصوات رخوة، ونحن نستطيع حصر الأصوات الرخوة عندهما، تبعا لذلك وهي: ث، ح، خ، ذ، ز، س، ش، ص، ض، ظ، غ، ف، هـ. وهي الأصوات الرخوة نفسها كما ذكرها سيبويه.

والمحدثون يسمون بعض هذه الأصوات (التي بين الشديدة والرخوة) أصواتا مائعة (Liquids)، أومتوسطة، وهي باللام، النون، الميم، الراء: ويعرفونها بأنها "الحروف التي الانتفاح فيها انفتاح متوسط، والتي يترك اللسان والهواء ممرّاً كبيراً نوعاً ما"[2]. وأما صوت (العين) فلم يستقرّ المحدثون على تصنيفه حتى الآن؛ نظراً لأنّ بعض خواصه الصوتية لايزال غامضاً[3].

---

(١) سر صناعة الاعراب، ١/٣٩-٧٠، شرح المفصل ٠= ١٢٩.

(٢) انظر: دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ص ٢٤، أيضاً الأصوات اللغوية، ص ٢٤. التطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ص ٣٧.

(٣) الأصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس، ص ٢٥، علم اللغة العام - الأصوات، ص ١٣٢.

وأما أصواتُ (الألف، والواو، والياء)، في مثل: قال، يدعو، يرمي (الياء التي تلي الميم) فأصوات مد طويلة (صوائت)، ولايجوز تصنيفها ضمن الأصوات الصامتة؛ إذ إنَّ خواصها الصوتية تختلف عن الصوامت. وأما الواو والياء) في مثل (وعد، يترك)، (خوفْ، بيْعٌ فهي أنصاف حركات (Semi - voels)، أو أنصاف صوامت، كما يعدها المحدثون[1].

ويكاد يتفق اللغويون المحدثون مع اللغويين القدامى في تعريف الصوت الشديد (الانفجاري Ploisive)؛ فالصوت الانفجاري، -كما يعرفه المحدثون- ينتج عن حبس مجرى الهواء، الخارج من الرئتين حبسا تاماً في موضع من مواضع النطق، حيث يُضغط الهواء، ثم يُطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فنيدع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً[2].

والأصوات العربية الشديدة -حسب معطيات التجارب المخبرية الحديثة- هي: ب، ت، د، ط، ض، ك، ق، الهمزة[3].

ورأي اللغويين المحدثين يخالف رأي اللغويين القدامى في صفة صوتي (الضاد، والجيم)، إذ عد القدامى صوت الجيم شديداً، وصوت الضاد رخوا. والمحدثون يعدون (الجيم الفصيحة الحديثة) "مزدوجة من الشدة والرخاوة فيها من الصفتين معا"[4]. ويعدون (الضاد الحديثة) صوتاً شديداً مجهورا[5].

(١) انظر، ص ١٧ من هذا البحث.

(٢) علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر، ص ١٠٠، في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل العطية، ص ٤٥.

(٣) علم اللغة العام (الأصوت)، د. كمال بشر، ص ١٠٠-١١٢.

(٤) الأصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس، ص ٧٨، أيضاً: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص ٨٧،

(٥) الأصوات اللغوية،ص ٤٨، انظر أيضاً ص ٥٠، من هذا البحث.

تعريف المحدثين للأصوات الرخوة (الاحتكاكية Fricatives)، يشبه تعريف القدماء لها؛ فعند النطق بالصوت الرخو لاينحبس الهواء انحباسا تاما، وإنما يكون مجراه عند المخرج ضيّقاً جداً، ويترتب على ضيق المجرى أن النفس في أثناء مروره يُحدث نوعاً من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق المجرى. والأصوات الرخوة (الاحتاكية) في اللغة العربية الفصيحة في الوقت الحالي هي: السين، الزاي، الصاد، الشين، الذال، الثاء، الظاء، الفاء، الهاء، الحاء، الخاء، الغين[١]. نحلظ أن نظرة المحدثين تتطابق ونظرة اللغويين العرب القدامى لهذه الأصوات عدا صوت (الضاد)، اذ عده القدامي رخوا ولايعده المحدثون كذلك[٢].

٣. **من صفات الأصوات الصامتة: الإطباق** (velarization)[٣].

وهو ارتفاع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق[٤] بحيث لايتصل به، على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطبق يغلب أن يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه؛ فالإطباق إذن حركة مصاحبة للنطق الحادث في مخرج

---

(١) انظر الأصوات اللغوية، ص ٢٤-٢٥، دروس في علم أصوات العربية جان كانتينو، ص ٢٤، في هذا البحث الصوتي عند العرب، د. خليل العطية، ص ٤٥.

(٢) انظر ص ٤٠ من هذا البحث.

(٣) الإطباق: مصدر أطبق، وليس نسبة (للطبق).

(٤) الطبق: هو الجزء الخلفي من سقف الحنك، وهو رخو متحرك ويسمى أيضاً الحنك اللين. ويقابله الحنك الصلب (الغار والنطع) وهو الجزء الأمامي من سقف الحنك.

آخر، وتنتج عن قيمة صوتية معينة، تُلوِّن الصوت المنطوق برنين خاص كما في نطق أصوات ص، ض، ط، ظ، خ، غ، ق؛ [1] فالصاد، والضاد، والطاء مخرجها من الأسنان واللّثة، والظاء مخرجها من بين الأسنان؛ فمخرجها من مكان آخر غير الطبق. وأما الأصوات الطبقية (أي التي مخرجها من الطبق نفسه. وتنسب إليه)، فهي الكاف، والغين، والخاء[2].

وحروف الإطباق كما يذكر الدكتور ابراهيم أنيس هي: الضاد، الطاء، الظاء، الصاد. وهذه الحروف "يتطلب النطق بها وضعاً خاصاً للسان يحمّل المتكلم بعض المشقة إذا قيست بنظائرهامن الحروف غير المطبقة مثل: الدال، التاء، الذال، السين. وقد أدت صعوبة النطق بحروف الإطباق. أننا نلحظ الميل إلى التخلص منها في اللهجات الحديثة[3] ويُلحظ هذا الميل في لهجة أهل المدن وبخاصة السيدات، فهن يقلن مثلاً: تاب، درب، سار، سوس، بدلاً من، طاب، ضرب، صار، صوص.

وقد عد ابن جني هذه الأصوات السبعة، التي ذكرها تمّام حسان، أصوات استعلاء، "ومعنى استعلاء: ان تتصعد في الحنك الأعلي، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق . . هي: الضاد، والطاء، والصاد، والظاء . . . والإطباق أن ترفع لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له. وأما الأصوات الثلاثة الباقية وهي: الخاء، والغين والقاف، "فلا إطباق فيها مع استعلائها".

---

(١) انظر مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص ٨٩.

(٢) انظر المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٣٠-٣١.

(٣) موسيقى الشعر، د. ابراهيم انيس، ص ٢٩.

(حسب رأي ابن جني)[1]، و "الاستعلاء علو الصوت -عند النطق به- الى الحنك، فينطبق الصوت مع حروف الإطباق، ويستعلى في الغين، والخاء، والقاف، غير مُنطبق"[2]. وتُسمَّى حروف الاطباق حروف التفخيم أيضاً[3]. ولعله من المفيد في ذا البحث التعرض للأصوات المتناظرة[4] في الجهر والهمس، الشدة والرخاوة (الانفجار والاحتكاك)، والتفخيم والترقيق.

أ- **الجهر والهمس:**

الصوت المجهور	**نظيره المهموس**
الدال	التاء
الذال	التاء
الزاي	السين
الضاد	الطاء
العين	الحاء
الغين	الخاء[5]

---

(١) انظر سر صناعة الاعراب، ١/٧٠-٧١.

(٢) مخارج الحروف وصفاتها، لابن الطحان، ص ٩٣.

(٣) الرعاية لتجويد القراءة، مكي ابن ابي طالب، ص١٢٨.

(٤) معنى التناظر الصوتي: "إما اتحاد المخرج بين كل من الصوتين المتناظرين، أو قرب المخرجين أحدهما من الآخر". الأصوات اللغوية، ص ٢٥.

(٥) الأصوات اللغوية، ص ٢٢، المدخل الى علم الغة، د. رمضان عبد التوبا، ص ٤٥-٤٦.

ب-الأصوات المتناظرة: من حيث الشدة والرخاوة[1] :

الصوت الشديد	نظيرة الرخو
الدال	الدال ، والزاء
التاء	السين أو التاء
الباء	الفاء
الصوت الشديد	**نظيرة الرخو**
الطاء	الصاد
الجيم (القاهرية)	الجيم (الشامية)
القاف	الخاء
الكاف	الشين

جـ- الأصوات المتناظرة من حيث التفخيم والترقيق[2] :

الصوت المفخم	نظيرة المرقق
الظاء	الذال
الطاء	التاء
الضاد	الدال
الصاد	السين

(١) الأصوات اللغوية، ص ٢٥.

(٢) مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، ص ٤٦. ايضاً: موسيقى الشعر، د. ابراهيم أنيس، ص ٢٩، أيضاً: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، د. سلمان العاني، ص ٧٢-٧٧.

ويُضيف الدكتور سلمان العاني للأصوات المتناظرة من حيث التفخيم والترقيق: اللام المفخمة ويرمز لها بـ (ل) النظير اللام المرققة (ل) واللام المفخمة (ل) "هو الفونيم الوحيد الذي لم يضَع له نظام الالفباء، رمزاً مستقلاً، وتوجد هذَه اللام[1] في العربية الفصحى (كذا) في كملة واحدة فقط هي لفظ الجلالة (الله)و هي أكثر شيوعاً في اللهجات، والذي يدلنا على أن اللام المرقةتقابل اللام فونيميا (أي أن أحدهما نظير الآخر هذه الثنائية والله ولاّه"[2]. ويُلحظ الفرق في المعنى بوضوح بين اللفظين، إذا سُمعتا دون التأثر بالصورة الكتابية لهما. وقد يكون عدم وضع رمز كتابي خاص في الهجائية العربية لكلٍّ من اللام المرقة واللام المفخمة، عائدا الى ندرة الألفاظ التي يمثل فيها كلٌّ من صوت اللام المرقق والمفخم دلالةً مختلفة، كما هو الشأن مع الأصوات المتناظرة الأخرى: ص - س، ظ -ذ، ض-د، ط-ت.

ويقول الدكتور رمضان عبد التواب عن اللام المرققة والمفخمة: "الأصل في صوت اللام الترقيق، إلا أنه -كما يذكر علماء القراءات- يفخم في لفظ (الله) إذا لم يسبقه صوت من أصوات الكسرة، كما أنهم يُجيزون تفخيمه إذا تلاه صوتن من أصوات الفتحة، وسبقه أحد الأصوات المطبقة، مثل: الصلاة، والطلاق، والظلام. والفرق بين اللام المرققة والمفخمة يوجد، كما هو معروف، في وضع مؤخر اللسان بالنسبة للاثنين؛ إذ أنها ترتفع ناجية الطبق في حالة اللام المفخمة، وتنخفض الى قاع الفم في حالة اللام المرققة؛

(١) اللام المفخمة لاتكون الا متوسطة، (المصدر السابق نفسه ص ١١٩).

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٧٧-٧٨.

فالفرق بين نطق اللامين هو الفرق نفسه بين صوتي السين والصاد[١] .

ولا يُعد -كما هو واضح- تفخيم اللام في الأمثلة التي ذكرها الدكتور رمضان عبد التواب فونيماً مستقلاً لأنه يمثل صورة نطقية للام ناتجة عن تفاعل اللام مع أصوات الكلمة الأخرى. وأما اللام المفخمة التي ذكرها الدكتور العاني فلها بيئة اللام المرققة الصوتية نفسها؛ لذا عدَّ كلاً منهما فونيما مستقلاً له أثرٌ في تغيير المعنى.

لقد بسطنا البحث في بعض صفات الأصوات الصامتة لعلاقتها الوثيقة بالبحث، وهي صفات: الجهر والهمس، الشدة والرخاوة، وبين الشدة والرخاوة، والأصوات المائعة، والأطباق والاستعلاء، والأصوات المتناظرة؛ ولكن هذه الصفات لها أثر في تنويع الأصوات وتباينها اذا كانت من مخرج واحد[٢] . وهناك صفات اخرى عديدة للأصوات الصامة سنمسُّها مسّاً خفيفاً نظراً لعلاقتها الطفيفة بالبحث وهي:

أ- الذّلاقة والإصمات:

وحروف الذلاقة ستة وهي: اللام، والراء، النون، الفاء، الباء، الميم، وسميت حروف الذلاقة لأنه يُعتمد عليها بذلَق اللسان، وهو صدرهُ وطرفه. وباقي الحروف تُسمى المصمتة[٣]، وهي مجموع في (فم بُرفل).

(١) المدخل في علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٤٨.

(٢) انظر: الرعاية لتجويد القراءة، مكي، ص ١٤٣.

(٣) انظر: سر صناعة الاعراب، ٧٤/١ (بتصرف).

ويقول الدكتور خليل العطية : "وهذا تقسيم تفرّد به العلماء العرب ولايعرفه المحدثون[1] .

ب- التّفشي:

وهو "انتشار خروج الريح وانبساطه؛ حتى يُتخيّل أن الشين انفرشت، حتى لحقت بمنشأ الظاء، وقد ذكر بعضهم الضاد في هذا المعنى، لاستطالتها لمّا اتصلت بمخرج اللام"[2]، وهو صفة خاصة بصوت الشين ومجهورها[3] .

جـ- الانْسِفال:

وهو ضد الاستعلاء، "وهو انخفاض اللسان والصوت الى قاع الفم"[4] ويُسمي ابن جني الحروف غير المستعلية (المنخفضة)، وهي ما عدا حروف الاستعلاء[5]، والاستعلاء والاستفال تقسيم تفرد به علماء العرب القدامى، وأقره المحدثون[6] .

---

(١) في البحث الصوتي عند العرب، ص ٥٢.

(٢) مخارج الحروف وصفاتها، لابن الطحان، ص٩٤.

(٣) في البحث الصوتي عند العرب، ص ٥٦.

(٤) مخارج الحروف وصفاتها، ص ٩٤.

(٥) سر صناعة الاعراب، ٧١/١.

(٦) في البحث الصوتي عند العرب، ص ٥٧.

د- **الصفير:**

وهو "حدَّة الصوت، كالصوت الخارج عن ضغط ثُقب"[1]. وحروف الصفير الصاد، والزاي، والسين[2].

هـ- **القلقلة:**

وحروف القلقلة هي: القاف، الجيم، الطاء، الدال، الباء[3]، وسميت حروف القلقلة لأنها يصحبها ضغط اللسان في مخرجها في الوقف مع شدة الصوت، فإذا أردت بيانها للمخاطب احتجت الى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج صوتها فيُسمع[4].

و- **المكرَّر:**

يقول ابن جني: "ومنها (أي الحروف) المكرر، وهو الراء، وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير، ولذلك احتُسب في الامالة بحرفين"[5]. ويقول السيوطي: "وسمي الراء المكرر لأنها تتكرر على اللسان عند النطق بها، كأن طرف اللسان يرتعد بها، فكأنك نطقت بأكثر من حرف واحد"[6].

---

(١) مخارج الحروف وصفاتها، ص ٩٤.

(٢) شرح المفصل، ١٣٠/١٠.

(٣) سر صناعة الاعراب، ٧٣/١.

(٤) شرح الشافية، ٢٦٣/٣.

(٥) سر صناعة الاعراب، ٧٢/١.

(٦) همع الهوامع، ٢٣٠/٢.

ز- **الانحراف:**

هو الخروج من صفة الى اخرى، او من مخرج الى آخر، وسمي اللام منحرفاً وزاد الكوفيون الراء، فهما عندهم حرفا الانحراف، قالوا لانحرافهما عن مخرج النون[(١)]. ويسميه المحدثون صوتاً جانبياً (Lateral)، "ويتم إنتاجه عن طريق عائق من نوع الغلق التام في وسط تجويف الفم، ويوجد مجرى جانبي لتيار الهواء حول أحد جانبي العائق أو حول جانبيه[(٢)].

جـ- **الاستطالة**

والحرف المستطيل هو "الضاد، سُميت بذلك لأنها استطالت على الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام، وذلك لما اجتمع فيها من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء[(٣)].

وهناك صفات أخرى للأصوات نذكرها باختصار شديد تتميماً للفائدة إن شاء الله.

- الحروف الخفيّة: وهي الهاء وحروف المد واللين[(٤)].
- الحرف الجرسي: وهي الهمزة، سُميت بذلك لأن الصوت يعلو بها

---

(١) همع الهوامع، ٢/٢٣٠.

(٢) دراسة الصوت اللغوي، د. احمد مختار عمر، ص ١٠٠.

(٣) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي بن أبي طالب، ص ١٣٤.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ١٢٧.

عند النطق[١] . ويسمى أيضاً المهتوت[٢] .

- حرفا الغُنّة : وهما " النون والميم الساكتتان ، سميتا بذلك ، لأن فيهما غنة تخرج من الخياشيم عند النطق بها ، فهي زائدة فيهما[٣] " .

مخارج الأصوات الصامتة بين اللغويين: القدماء والمحدثين

يعرّف الدكتور محمد تركستاني مخرج الصوت اللغوي أنه " محلّ الخروج وموضع ظهور الصوت وتمييزه من غيره من الأصوات ؛ اذ المخرج نقطة يحدث فيها حبسُ الهواء ، أوتضييق مخرجه بحيث يحدث الصوت الذي نسمعه ، والمخارج موزعة على المدرج الصوتي الذي يمتد من الحنجرة الى الشفتين[٤] .

وقد رتب الخليل بن أحمد مخارج الأصوات الصامتة مبتدئاً من الحلق حتى الشفتين كما يلي :

- العين والحاء والخاء والغين حلْقية ، لأن مبتدأها من الحلق .
- القاف والكاف لهويتان ؛ لأن مبدأهما من اللّهاة .
- الجيم والشين والضاد شجريّة ؛ لأن مبدأهما من شجر الفم ، (أي مفرج الفمّ .

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٣٢ .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٣٧ .

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ١٣١ .

(٤) مخارج الحروف وصفاتها، ص ٧٧ (الحاشية).

- الضاد والسين والراء أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مُستدق طرف اللسان.

- والطاء والتاء والدال نطْعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى.

- والظاء والذال والتاء لثوية؛ لأن مبدأها من اللّثة.

- والراء واللام والنون ذَلقية؛ لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهو تحديد طرفي ذلق اللسان.

- والفاء والباء والميم شفوية لأن مبدأها من الشفه.. فنُسب كلٌّ حرفٍ إلى مدرجته (كذا) وموضعِه الذي يبدأ منه[١].

فعدد مخارج الأصوات عنده ثمانية، وقد سمّى مخرج الصوت مدرجاً، وموضعاً، أما الياء، والواو والألف والهمزة[٢]. فهي عنده "هوائية في حيز واحد؛ لأنها لايتعلق بها شيء[٣].

نَلْحَظُ أن الخليل بن أحمد قد نسب الياء، والواو والألف والهمزة إلى الهواء أما بالنسبة للياء والواو والألف، فوجهة نظره هذه تتفق ووجهة نظر اللغويين المحدثين؛ فهي أصوات صائتة والهواء حر اثناء النطق بها[٤]. أمّا الهمزة فهي –حسب نظر المحدثين– صوت حنجري انفجاري لا هو بالمهموس

---

(١) كتاب العين ٥٨/١. ويذكر (أبو حيان في التكلف أن مخارج ...

(٢) انظر رأينا في الهمزة عند الخليل، ص ٤٤–٤٥، من هذا البحث.

(٣) كتاب العين، ٥٨/١.

(٤) انظر، ص ٣٠، من هذا البحث.

ولا بالمجهور[1].

وقد خالف سيبويه الخليل في نظرته لمخارج الأصوات وعددها، وهي عند سيبويه ستة عشر مخرجاً.

- " فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف.
- ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء.
- وأدناها مخرجا من الفم: الغين والخاء.
- ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف.
- ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف.
- ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.
- ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.
- ومن حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرف اللسان وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى (مما فُويق الضاحك والرّباعية والثّنية مخرج اللام)[2].

---

(١) انظر، علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر، ص ١١٢.

(٢) العبارة التي بين القوسين ( ) أعتقد أنها ساقطة في الطباعة، وقد أخذتُها من سر صناعة الاعراب، لابن جني، ٥٢/١.

- (ومن طرف اللسان بينه وبين)[1] ما فُويق الثنايا مخرج النون .
- ومن مخرج النون غير أنه أدْخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه الى اللام مخرج الراء .
- ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مُخرج الطاد والدال والتاء .
- ومما بين طرف اللسان وفُويق الثنايا مخرج الزاي ، والسين والصاد .
- ومن بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء ، والذال ، والثاء .
- ومن بين الشفتين مُخرج الباء ، والميم ، والواو .
- ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة[2] .

وقد تبع سيبويه في وصف مخارج الأصوات وترتيبها عددٌ كبيرٌ من اللغويين العرب القدامى ، نذكر منهم : ابن السرّاج[3] . (توفي سنة ٣١٦) ، ابن جني[4] (توفي سنة ٣٩٢هـ) ، السكاكي[5] (توفي سنة ٦٢٦هـ) ، ابن يعيش[6]

---

(١) العبارة التي بين القوسين ( ) أعتقد انها ساقطة في الطباعة وقد اخذتهاايضاً من سر صناعة الاعراب، ٥٢/١.

(٢) كتاب سيبويه، ٤٣٣/٤-٤٣٤.

(٣) الأصول في النحو، ٤٠٠/٣.

(٤) سر صناعة الاعراب، ٥٢/١-٥٣ .

(٥) مفتاح العلوم، ص ٥ .

(٦) شرح المفصل، ١٢٣/١٠.

(توفي سنة ٦٤٣هـ)، السيوطي[1] (توفي سنة ٩١١هـ).

واللغويون المحدثون يخالفون القدامى في عدد مخارج الأصوات العربية الصامتة، فعددُ مخارج أصوات العربية الفصيحة في الوقت الحاضر - كما يقول الدكتور كمال بشر - أحد عشر مخرجاً، وهو يرتبها -بدءاً من الشفتين حتى الحنجرة - كما يلي:

١. شفويه: الباء والميم.

٢. أسنانية - شفوية: الفاء.

٣. أسنانية (خالصة): الثاء، الذال، الظاء.

٤. أسنانية -لثوية: التاء، الدال، الضاد، الطاء، اللام، النون.

٥. لثوية: الراء، الزاي، السين، الصاد.

نلحظ أن المخرجين الرابع والخامس متقاربان جداً.

٦. لثوية - حنكية: الجيم (الفصيحة)، والشين.

٧. وسط الحنك: الياء الصامتة.

نلحظ أن المخرجيْن: السادس والسابع متقاربان جداً، وقد سماهما القدماء (الشجرية).

٨. أقصى الحنك: الخاء، الغين، الكاف، الواو (الصامتة).

٩. لهوية: القاف.

---

(١) همع الهوامع، ٢/٢٢٧.

١٠. حلْقية: العين والحاء.

١١. حنجرية: الهمزة والهاء[١].

وبمقابلة تصنيف اللغويين العرب القدامى بتصنيف المحدثين لمخارج هذه الأصوات نلحظ ما يلي:

١. الاختلاف في عدد مخارج الأصوات:

فعددها عند جمهور اللغويين القدامى ستة عشر مخرجاً (سيبويه وابن جني ومن تبعهما[٢]. وعدَّها الجرْمي أربعة عشر مخرجاً "وذلك أنه جعل اللام والنون والراء من مخرج واحد، وجعل لها سيبويه ومن تابعه ثلاثة مخارج متقاربة"[٣]، وعدها الخليل بن أحمد ثمانية مخارج فقط[٤]. في حين قصرها ابن دُريد على سبعة وسماها أجناساً[٥]، وعدها ابن الجزْري وبعض القراء سبعة عشر مخرجا[٦].

---

(١) انظر: علم اللغة العام (الأصوات) ص ٨٩-٩٠ وعدد مخارج الأصوات عند الدكتور تمام حسان عشرة فقط، انظر: اللغة العربية، معناها ومبناها، ٧٩، وعددها عشرة ايضاً عند الدكتور خليل العطية، وهو يرتبها (من الحنجرة الى الشفتين)؛ انظر: في البحث الصوتي عند العرب، ص -٢٠ ١٩ انظر ايضاً: المدخل الى علم اللغة د. رمضان عبد التواب، ص ٦١.

(٢) انظر، ص ٦٦، من هذا البحث.

(٣) الرعاية لتجويد القراءة، لمكي، ص ٢٤٣.

(٤) انظر ص ٦٦-٦٧، من هذا البحث.

(٥) جمهرة اللغة، ١/٦-٨.

(٦) النشر في القراءات العشر، ١٩٨/١.

وعدد مخارج الأصوات عند اللغويين المحدثين -كما رأينا أحد عشر مخرجاً ومنهم من عدها عشرة فقط.

وقد يكون هذا الاختلاف البيِّن في عدد المخارج ناتجاً عن دقة المقاييس التقنية في العصر الحاضر، واعتماد اللغويين القُدامي على الملاحظة والتذوق حسب، أو قد يكون ناتجاً عن تحول النطق في بعض الأصوات العربية بسبب تقادم العهد، واختلاف الظروف(١).

٢. الاختلاف في موضع بدء ترتيب المخارج:

رتّب القُدامى مخارج الأصوات تصاعدياً بدءاً من أقصى الحلق حتى الشفتين، والترتيب الحالي يبتدئ بالشفتين راجعاً الى الخلف حتى الحنجرة.

٣. الاختلاف في المصطلح (في تسمية المخارج:

استخدم عامة اللغويين القدامى مصطلح مخارج، ودعاها الخليل مدارج ومواضع(٢)، في حين أطلق عليها ابن دريد (مخارجَ، ومجاريَ، وأجناساً، ومدارج)(٣).

٤. الاختلاف في تحديد مخارج عددٍ من الأصوات:

أ- الاختلاف في تحديد مخرج (الصاد، والزاي، والسين)، إذ يرى القدماء انها من بين طرف اللسان وأصول الثنايا، ويرى المحدثون أنها لثوية.

---

(١) انظر ص ٧٥ من هذا البحث (الأصوات المتحولة).

(٢) انظر كتاب العين، ٥٨/١.

(٣) انظر، جمهرة اللغة، ٤/١-٩.

ب- الاختلاف في تحديد مخرج الضاد؛ اذ يعدها القدماء " من أول حافة اللسان وما يليها من الاضراس، ويعدها المحدثون أسنانية لثوية، وربما كان هذا الاختلاف في تحديد مخرج (الضاد) عائداً الى تحول النطق في هذا الصوت[1].

جـ- الاختلاف في مخرج (القاف)؛ قد يعود هذا الاختلفا الى تحول النطق في هذا الصوت أيضاً[2] اذ يعده القدماء حنكيّاً، ويعده المحدثون لهوياً.

د- الاختلاف في مخرج الواو (الصامتة) إذا قبلنا القول إنَّ القدامى عنوْا بهذه الواو (الواو الصامتة)[3]، لا الواو الصائتة، وإلا كان تحديدُهم لمخرجها بيّن الخطأ، مثل تحديدهم لمخرج الألف (كما سيأتي بحثه)؛ إذ عدّ القدماء الواو شفوية، ويَعُدها المحدثون من أقصى الحنك.

هـ- الاختلاف في مخرج الألف؛ فقد عدّ القدماء مخرجه من أقصى الحنك[4]، والمحدثون يرون أنّ الألف من الصوائت. والصوائت يتحدد موضع نطقها بوضع اللسان وضعاً معيناً في الفم تجاه الحنك الأعلى، وبدرجة ارتفاع اللسان، أو هبوطه، أو استوائه، يتحدد

---

(١) انظر ص ٨٤، من هذا البحث.

(٢) انظر ص ٨٥، من هذا البحث.

(٣) انظر، الواو الصامتة ص ١٧٤، من هذا البحث.

(٤) هكذا قال سيبويه وابن جني، ومن تبعها من اللغويين والقراء، وأما الخليل بن أحمد فقد ذكر أنها (هوائية لايتعلق بها شيء)، وهذا يتفق ونظرة اللغويين المحدثين.

الصائت أو يُصنّف[1].

يَلْحظ الباحثُ أنه رغم الاختلاف بين القدماء والمحدثين في بعض مخارج الأصوات، إلاّ أن مواطن الاتفاق بينهما تبدو أكثر من مواطن الاختلاف.

---

(١) انظر ص ١٤٦، من هذا البحث.

الفصل الثاني

الأصوات الصامتة الفصيحة المتحولة وعلاقتها بالمعنى

الفصل الثاني

الأصوات الصامتة الفصيحة المتحولة وعلاقتها بالمعنى

نتناول في هذا البحث التحولات (التبدلات) الصوتية المفردة (كما سماها ابن جني)[1]، أو المطلقة (التاريخية)، وليس المركبة.

وسيقتصر هذا الفصل على دراسة تحولات الأصوات الفصيحة: الجيم، الضاد، الطاء، القاف، وأثر هذه التحولات الصوتية في المعنى. وأمّا التحولات الصوتية اللهجية (العامية) وأثر هذه التحولات في تغيير المعنى، فستكون موضوع الفصل الثالث، إن شاء الله.

والتبدلات التركيبية: تحدث للصوت بمجرد أن يدخل تركيباً بينه وبين أحد أصواته تنافر، مثل تاء الافتعال، هي سريعة التكوين (الحدوث)، وقْتية، مشروطة بالتركيب، ومحدودة به؛ فما يكاد الصوت يخرج منه حتى يسترد خواصه الصوتية السابقة، ويعود كما كان قبل أن يدخل في التركيب، كما يحدث لتاء (اصطبر) مثلاً، وهي على وزن افتعل، فالأصل أن نقول اصتبر؛ تحولت التاء الى طاء، فقلنا اصطبر وذلك لمجانسة الطاء، للصاد في الجرْس الصوتي، واشتراكهما في صفة الاطباق؛ فتحوُّل التاء طاءً في مثل هذه الكلمة يُسمى تحولا (تبدلاً) صوتياً تركيبياً؛ إذ إنَّ الطاء تعود تاءً بمجرد خروجها من هذا التركيب المؤقت، وتسترد خواصها الصوتية السابقة.

(١) سر صناعة الإعراب ١/٤٠.

وأما التبدلات التاريخية: فمطلقة؛ بمعنى أنها إذا أصابت صوتاً فأنها لاتُصيبه في تركيب دون تركيب، بل تُصيبه في كل تركيب من تراكيب اللغة، وهي لاتحدث إلا ببطء شديد، وخلال قرون وأجيال؛ فلايشعر بها أبناء الجيل الواحد. وتحدث هذه التبدلات نتيجة عوامل متعددة متشابكة؛ منها الاجتماعية والنفسية والفسيولوجية، ومنها غير ذلك مما لايمكن حصره[١].

والذي يؤثر في المعنى، ويجعله مختلفاً، هو عموماً تبدُّل فونيم[٢] (وحدة صوتية مستقلة) أو أكثر في الكلمة. أما الألوفون[٣] (وهو صورة نطقية للصوت)، فلايؤدي تبدله إلى تغيُّر المعنى أو اختلافه.

فلكل وحدة صوتية مستقلة (فونيم) وظيفة دلالية، يقول الدكتور محيي الدين رمضان: " . . . فإذا كان للفظة صيغة تدل بها على معنى، وموضعٌ في الجملة تشارك به في الأداء عن معنى، فلابدّ من أن تكون للوحدة الصوتية في اللفظ مثل ذلك الأثر في اللفظة أو أنها تشارك سواها في إحداثه[٤].

وبعض الباحثين المحدثين لايروْن أن للأصوات (المفردة) دلالةً معنويةً يقول الدكتور محيي الدين رمضان: " لابُد من نبذ القول الذي شاع ردحاً من

---

(١) الوجيز في فقه اللغة، الاستاذ محمد الأنطاكي، ص ٢٧٦-٢٧٧ (بتصرف).

(٢) انظر: تعريف الفونيم، ص ٢١ من هذا البحث.

(٣) انظر تعريف الألوفون، ص ٢١، من هذا البحث.

(٤) في صوتيات العربية، د. محيي الدن رمضان، ص ١٨٦.

الوقت بدلالة الصوت المعنوية[1].

وأما الدكتور إبراهيم أنيس فيقول إنّ هناك " دلالة صوتية مستمدة من طبيعة بعض الأصوات؛ فكلمة (تنضخ) كما يحدثنا كثير من اللغويين القدماء تعبر عن فوران السائل في قوة وعنف. وهي إذا قورنت بنظيرتها (تنضح) التي تدل على تسرب السائل في تدؤدة وبط، يتبين لنا أنَّ صوت الخاء في الأولى له دخل في دلالتها، فقد أكسبها في رأي أولئك اللغويين تلك القوة وذلك العنف. وعلى هذا فالسامع يتصور بعد سماعه كلمة (تنضخ) عيناً يفور منها النِّفط فوراناً قويّاً عنيفاً[2].

ويفهم من كلام الدكتور ماهر هلال في كتابه (جرْس الألفاظ، أنّ لجرس بعض الأصوات اللغوية إيحاءً معنوياً يميزه عن غيره من الأصوات، وأننا نستطيع تحكيم الحس والذوق في تمييز جرس الألفاظ ونغمها واستجلاء قيمها الجمالية، فقد قالوا مثلا: "قطَّ الشي، إذا قطعه عرْضاً، و (قدَّه) إذا قطعه طولاً؛ وذلك لأن منقطع الطاء، أقصر مدة من منقطع الدال"[3].

وعن إيحاء الأصوات المفردة يقول البطليوسي في معرض شرحه لمواد (ظلّ، وضلّ، وذلّ: "كل شيء كان معناه راجعاً الى معنى الإقامة أو إلى معنى السر والتغطية فهو بالظاء، وما كان معناه راجعاً إلى الحيرة أو الخطأ

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٨٨.

(٢) دلالة الألفاظ، د. ابراهيم أنيس، ص ٤٦، وسبقه ابن جني في الخصائص، ١٥٨/٢.

(٣) انظر، جرس الألفاظ، ص ٢٩٣، ٣٠٢، ٣٠٣، وهو يوافق مذهب ابن جني في الخصائص، ٢ ١٥٨.

أوالهلاك والتلف فهو بالضاد. وما كان معناه راجعاً الى معنى الانقياد والسهولة فهو بالذال[1].

ولاشكّ أن للجرْس الصوتي أثراً واضحاً في السمع؛ فقد تطرب له الأذن، وقد تمجه ولاتود سماعه، وقد علّق أبو هلال العسكري الفصاحة باللفظ، وعلّق البلاغة بالمعنى، فهويقول: "الفصاحة تمام آلة البيان فهي تتعلق باللفظ، لأن الآلة باللفظ دون المعنى. والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى الى القلب فكأنها مقصورة على المعنى"[2].

ويقول الدكتور ماهر هلال إن ابن سنان الخفاجي ذهب الى أنّ "تمييز فصاحة اللفظ أمر ذاتي، وهذا ما تُقره الدراسات الجمالية المعاصرة، كما أقرّته الدراسات النقدية القديمة"[3].

وقد يكون سبب تفضيلنا لفظة على أخرى لها المعنى نفسه للجرْس الصوتي وأثر وقعه على أذن السامع، "فلا خلاف أنّ لفظة المُزنة والديمة حسنة يستلذها السمع، وأن لفظة البُعاق قبيحة يكرهها السمع، وهذه اللفظات الثلاثة (كذا) في صفة المطر تدل علي معنى واحد"[4].

والباحث اللغوي قد يتفق ونقاد الأدب في أنّ لبعض الأصوات إيحاء مميزاً، وقد يؤدي تبديل (الوفون) بآخر إلى إبراز صورة جمالية، أو إثارة

---

(١) الفرق بين الحروف الخمسة، ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص ١٣-١٤.

(٣) جرس الألفاظ ودلالتها عند العرب، د. ماهر هلال، ص ٩٧.

(٤) المثل السائر، لابن الأثير، ١/١١٤.

انفعالات وأحاسيس ذاتية خاصة، ولكنه لايؤدي إلى تغيّر المغنى المعجمي للكملة أو الجملة. وتبدُّل متغيرالألفون أو الفونيم أحياناً، دون تغيُّر المعنى، هو ما يسمعه اللغويون المحدثون متغيِّراً حرا (Free Variant) أو متغيراً اختيارياً (Optiond variant) أو غير وظيفي (Non- Functional variant) يقول الدكتور أحمد مختار عمر "أي صورتين في لغة ما يكوِّنان تنوعين اختيارين لفونيم واحد إذا أمكن وقوعهما في نفس البيئة (أي البيئة الصوتية) وكانا قابلين للتبادل من غير تغيير المعنى المعجمي للكلمة"[1] .

ويقسم الدكتور أحمد مختار عمر التغيرات الاختيارية (التنوعات الاختيارية) الى عامة وفردية؛ "أما التنوع العام فهو ما لايمكن اعتباره عيباً نطقياً أو انحرافاً عن المعيار، ويمكن لنفس المتكلم استعماله، في حين أن التنوعات الفردية تكون موزعة بين أعضاء مختلفين في المجتمع اللغوي"[2] .

والأمثلة على تغير الفونيم (الحرف) في كلمة وثبات معناها كثيرة في اللغة العربية؛ فقد سُمعت لفظات: صَقْر، سَقْر، زَقْر، في اسم الطائر المعروف. وقد ذكر هذا التبدل الصوتي ابن جني في (باب الحرفين المتقاربين يُستعمل احدهما مكان صاحبه)، ومثّل لذلك بقوله: "هتَلَت السماء وهتَنَتْ، بمعنى واحد"[3] .

نلحظ أن التبدلات الصوتية (الألوفونية خاصة)، تختلف عن

---

(١) دراسة الصوت اللغوي، ص ١٨٣، انظر ايضاً: اسس علم اللغة لماريو باي، ص ٩٧.

(٢) دراسة الصوت اللغوي، ص ١٨٣ .

(٣) الخصائص، ٢/٨٢.

التبدلات الصرفية (التغير في بنية الكلمة أو ابدال فونيم بآخر)، والنحوية (التغير في تركيب الجملة). ويُجمل الأستاذ محمد الأنطاكي هذا الاختلاف في ناحيتين:

١. التبدلات الصوتية لاشعورية في الغالب. أمّا في التبدلات الصرفية والنحوية فالأمر مختلف؛ فإذا حول المتكلم ضرب الى ضارب، أوإذا حول جملة ضرب زيدٌ عمراً إلى ضرب عمرو زيدا، فهو يفعل ذلك شاعرا به قاصداً إليه.

٢. التبدلات الصوتية لا أثر لها في تغيير معنى الكلمة أو الجملة، أما في التبدلات الصرفية والنحوية فأثرتغيير المعنى واضح مثل ضرب، ضارب مضروب، ضرب. . .، وكذا جملة ضرب زيد عمرا تختلف عن جملة: ضرب عمرو زيداً[1].

وقول الاستاذ محمد الأنطاكي إن التبدلات الصوتية لا أثر لها في تغيير معنى الكلمة أو الجملة لا نأخذه على وجه الاطلاق؛ فهو صحيح إذا لم يؤدِّ التبدل الصوتي الى إحلال فونيم محل فونين آخر، أما إذا أدى هذا التبدل الصوتي الى إبدال فونيم بآخر أو احتمال التباس فونيم بآخر، فأنه يؤثر في تغيير المعني؛ وذلك مثل كلمة: طاب عندما تنطق تاب، أو كلمة صار، عندما تُنطق سار، على لسان بعض أهل المدن وخاصة على لسان السيدات.

بعد هذا العرض أرى من المفيد أن أعرض الأصوات الفصيحة المتحولة

---

(١) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ١/٥٤-٥٥. بتصرف.

واحدا واحداً لمناقشة كل على حدة، لنرصد أثر التحول الذي قد يُلحقه في المعنى ونبدأ بصوت الجيم.

صوت الجيم

يخالف اللغويون المحدثون اللغويين القدامى في صفة أساسية من صفات الجيم؛ إذ عد اللغويون القدامى صوت الجيم شديداً[1]، ويعده المحدثون صوتاً مزدوجاً، أو مركباً يجمع بين عنصري الشدة والرخاوة[2].

يقول الدكتور رمضان عبد التواب: "يُعد صوت الجيم في العربية، مثالاً طيباً للتغيرات التاريخية في الأصوات[3]؛ فإن مقارنة اللغات السامية كلها تشير إلى أن النطق الأصلي لهذا الصوت كان بغير تعطيش، كالجيم القاهرية تماماً فكلمة (جمل) مثلاً، هي في اللغة العبرية: (gamal) وفي الآرامية (gamla) وفي الحبشية (gamal)، أما العربية الفصحى، (كذا) فقد

---

(١) انظر: كتاب سيبويه، ٤٣٤/٤، سر صناعة الاعراب، ٦٩/١، شرح المفصل، ١٢٩/١٠.

(٢) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص ٧٨، المدخل الى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٥١، مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان ص ٨٧.

(٣) التغيرات الصوتية التاريخية: هي التغيرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة، بحيث يصير الصوت اللغوي، في جميع سياقاته، صوتاً آخر، انظر ايضاً: ص ٧٦، من هذا البحث.

تحول فيها نطق هذا الصوت من الطبق الى الغار(١)، كما تحول من صوت بسيط الى صوت مزدوج يبدأ بدال من الغار، ثم ينتهي بشين مجهورة(٢).

وعن طريق نطق هذا الصوت يقول الدكتور رمضان عبد التواب:
"يرتفع مقدم اللسان في اتجاه الغار فيلتصق به، وبذلك يحجز وراءه الهواء الخارج من الرئتين، ثم لايزول هذا الحاجز فجأة، كما في الأصوات الشديدة، وإنما يتم انفصال العضوين ببطء فيترتب على ذلك أن يحتك الهواء الخارج بالعضوين المتباعدين، احتكاكا شبيها بالاحتكاك الذي نَسمعُ صوته مع الشين المجهورة؛ وعلى ذلك تعد هذه الجيم في الحقيقة صوت دال مغوَّر، يعقبه صوت شين مجهورة(٣)؛ فهو صوت مزدوج أو مركبٌ (Affricate)، والصوت المركَّب لاينتج عن طريق تغيير المخرج -كما يقول مريوباي- وإنما ينتج عن تعديل طريقة النطق(٤).

وقد تحول نطق الجيم في عدد من اللهجات العرية، فقد تحول "كافا مجهورة تنطق من الطبق مع إعمال الأوتار الصوتية في نطق القاهرين؛ أي أن مخرجها انتقل الى الخلف، وأصبحت شيناً مجهورة في سوريا، ودالاً

---

(١) الطبق: هو الجزء الخلفي اللين من سقف الفم، ويدعى الحنك اللين ايضا، والغار: هو الجزء الأمامي من سقف الفم، وهو صلب يدعى أيضاً: النطع او الحنك الصلب.

(٢) أبحاث في العربية، د. داود عبده، ص ١٤٩، وانظر ايضاً التطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ص ١٨.

(٣) المدخل الى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٥١.

(٤) أسس علم اللغة، ماريو باي، ص ٨٤-٨٥.

أسنانية، لثوية في نطق بعض أهالي الصعيد بانتقال مخرجها الى الأمام[١]، وينطقها بعض أهل الريف الفلسطيني بما يشبه صوتي التاء والشين (تش)، أو (Ch) في اللغة الانجليزية.

يلحظ الباحث في صوت الجيم أن نطق هذا الصوت قد تحول تحولاً مطلقاً[٢] قبل عهد تدوين قواعد اللغة العربية، أي قبل عهد الخليل إذ أنَّ اللغويين القدامى منذ عهد الخليل- يتفقون والمحدثين في صفة أساسية من صفات هذا الصوت، وهي الجهر[٣]، ولا يختلفون معهم في مخرجه[٤]. وربما كان الخلاف بين الفريقين (وهو صفة الشدة، أو الشدة والرخاوة)، ناتجاً عن عدم إدراك القدامى لصفة الصوت المركب أوالمزدوج، كما يسميها المحدثون، وقد عُرِفتْ هذه الصفة حديثاًنتيجة لتطور العلوم الصوتية والتقنية الحديثة.

صوت الضاد

يُعد صوت الضاد الحالية (الفصيحة) من الأصوات المتحولة. ويتركز الاختلاف حول صوت الضاد بين اللغويين القدامى والمحدثين في نقطتين أساسيتين:

أ- في صفة أساسية من صفات الأصوات وهي: الشدة والرخاوة.

---

(١) المدخل الى علم اللغة، ص ٥١.

(٢) انظر، ص ٧٦ من هذا البحث.

(٣) انظر، ص ٤٩/ ٥٠ من هذا البحث.

(٤) انظر، ص٦٤/٦٨ من هذا البحث.

ب- في المخرج.

فاللغويون القدامى يعدون صوت الضاد رخوا[1]، والمحدثون يعدونه صوتاً شديداً والضاد (الحديثة) كما يصفها الدكتور، ابراهيم أنيس: "صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان، ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعنا صوتا انفجارياً هو الضاد، كما ينطق بها في مصر"[2].

والضاد الحديثة هي المقابل المطبق للدال[3]، أما الضاد القديمة فلايقابلها شيء من الأصوات، ويقول سيبويه: ولولا الإطباق لخرجت الضاد من الكلام؛ لأنه ليس شيء من موضعها غيرها[4].

وعن نطق الضاد (القديمة) يقول الدكتور ابراهيم أنيس: "يمكن النطق بها بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة ثم ينتهي نطقه بالظاء، فهي إذن مرحلة وسطى فيها شيء من شدة الضاد الحديثة، وشيء من رخاوة الظاء العربية، ولذلك كان يعدها القدماء من الأصوات الرخوة[5].

---

(١) انظر: كتاب سيبويه ٤٣٤-٤٣٥، أصول ابن السراج، ٣/٤٠٠، جمهرة اللغة، ٨/١. الرعاية لتجويد القراءة لمكي، ص ١١٩.

(٢) انظر: الأصوات اللغوية، د. ابراهيم انس، ص ٤٨، علم اللغة العام (الاصوات)، د. كمال بشر، ص ١٠٤.

(٣) المدخل الى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٤٦.

(٤) كتاب سيبويه، ٤/٤٣٦.

(٥) الأصوات اللغوية، ص ٤٩.

مخرج الضاد عند القدماء:

مخرج الضاد عند سيبويه: "من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس"[1]. وابن جني يذكر لها المخرج نفسه ويضيف: «إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وأن شئت من الجانب الأيسر»[2]، ومخرجها عند المبرّد من الشدق[3]. ومخرجها عند مكي بن أبي طالب يتصل بمخرج اللام، يقول مكي: "الحرف المستطيل هو الضاد، سُميت بذلك لأنها استطالت على الفم عند النطق بها، حتى اتصلت بمخرج اللام. لقرب مخرج اللام من مخرجها[4]. ويُسمي مكي حرفي الضاد والشين المخالطيْن "لأنهما يخالطان ما يتصلان به من طرف اللسان[5]. وعند أبي فرج النحوي (المتوفي في القرن الخاس الهجري[6]) من الشدق بوسط اللسان فبعض الناس يجري له في الأيمن وبعضهم يجري له في الأيسر[7].

---

(١) كتاب سيبويه، ٤/٤٣٣.

(٢) سر صناعة الاعراب، ١/٥٢.

(٣) المقتضب، ١/١٩٣.

(٤) الرِّعاية لتجويد القراءة، ص ١٣٤.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ١٣٥.

(٦) هو أبو الفرج محمد بن عبدالله بن سهيل النحوي، عاش في القرن الرابع الهجري ومات ي القرن الخامس. من شيوخه أبو الحسن علي بن عيسى الربعي تلميذ أبي سعيد السيرافي. (انظر: كتاب الضاد والظاء، ص ٢٨٦ "من مجلة المورد").

(٧) كتاب الضاد والظاء – لأبي فرج النحوي، ص ٢٨٩ (مجلة المورد).

نلحظ أنّ مخرج الضاد قريب جداً (كما وصفه القدماد) من مخرج اللام[1] والصوتان يشتركان في الجهر، والضاد (القديمة) من الأصوات الرخوة، واللام من الأصوات بين الشديدة والرخوة، (كما وصفها القدماء)، ولذلك - كمايقول برجشتر اسر- "كانت الضاد تشبه اللام في بعض الوجوه. والفرق بينهما هو أن الضاد من الحروف المطبقة كالصاد، وأنها من ذوات الدوى، واللام غير مطبقة صوتية محضة[2].

مخرج الضاد عند المحدثين:

أسناني - لثوي (مع أصوات: التاء، الدال، الطاء، اللام، النون) من طرف اللسان مع أصوات الثنايا العليا.

والضاد العتيقة، كما يقول برجشتراسر، " حرف غريب جداً، غير موجود حسبما أعرف في لغة من اللغات، إلاّ العربية ولذلك كانوا يكنون عن العرب الناطقين بالضاد. ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد، لايوجد الآن عند أحد من العرب، غير أن للضاد نطقاً قريباً منه جداً عند أهل حضرموت، وهو كاللام المطبقة[3]. والمعروف أن مخرج الضاد ومخرج اللام متقاربان، فكلاهما من حافة اللسان، ويعزز قول برجتشراسر شبه الضاد باللام المطبقة، تبادل الضاد واللام وتطابقهما أحياناً كما جاء في كتاب الابدال لأبي الطيب.

(١) مخرج اللام من حافة اللسان، انظر ص ٦٦ من هذا البحث.

(٢) التطور النحوي، برجشتراسر، ص ١٨.

(٣) التطور النحوي، ص ١٨-١٩، انظر ايضاً، المحيط، لمحمد الأنطاكي، ١٧/١.

يُقال : " تقيضّ فلان أباه وتقيّله تقيّضا وتقيّلاً إذا نزع إليه في الشبه " ، ويقال "رجل غُضُبَّة . . . وغُلُبَّة . . إذا كان قصيراً حادراً، " ورجل جَلْ ، ويبُدلون اللام ضادا ، فيقولون : رجل جَضْد "[1] . وقد يكون نطقُنا الحالي للضاد الفصيحة نشأ من تغير مخرجها القديم (من أول حافة اللسانّ الى طرفه " وإعماد طرف اللسان على الفك الأعلى ، بدلاً من تقريبه منه فقط ، فاكتسب الحرف صفة الشدة بعد أن كان رخواً[2] . وقد يكون النطق البدوي (في الوقت الحاضر) للضاد ، نشأ بتغير المخرج من أول حافة اللسان الى طرف اللسان .

وتنطق الضاد في الوقت الحاضر بما يشبه (الظاء) الحالية ، أو بما يشبه الضاد كما وصفها الأقدمون على لسان بعض البدو ، وفي العراق ، ومنطقة الخليج العربي والريف الفلسطيني ، والمنطقة الشرقية من الأردن ، أما نطق الضاد كما هو مذكور بالضبط في المظان المعروفة فغير موجود الآن ، " ولسنا بقادرين أنْ نُخرِج صوتَ الضاد على النحو الذي رسمه الخليل[3] ، لأن مخرجها كما وصفها القدماء " من حافة اللسان وأطراف الثنايا "[4] .

ولا شك أنّ العرب فرقوا بين صوتي الضاد والظاء بدليل وجود رمز كتابيّ لكلٍّ منهما ، وبدليل ورودها في القرآن الكريم فاصلتين متتاليتين ، يقول تعالى : ﴿ . . . فلننبئنَّ الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنَّهم من عذاب غليظ . وإذا

---

(١) كتاب الإبدال، لأبي الطيب اللغوي، ٢/٢٧٧-٢٧٨.

(٢) انظر: التطور النحوي، برجشتراسر، ص ١٩.

(٣) التطور اللغوي التاريخي، د. السامرائي، ص ٣٥.

(٤) كتاب سيبويه، ٤/٤٣٣ .

أنعمنا علي الأنسان أعرضَ ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دُعاء عريض﴾[1] . أي أن لكلٍّ من الضاد والظاء فونيماً مستقلاً (أي وحدة صوتية مستقلة) ؛ فإبدال أحدهما بالآخر مع تماثل بقية حروف الكلمة ، يُعطينا معنىً جديداً مغايراً ، فكلمة الغيط ، بالظاء : سَوْرة الغضب . والغيض بالضاد : النقصان ، ومنه قوله تعالى ﴿وغيض الماء﴾[2] والفعل من كلٍّ منهما غاظهف يغيظه ، وغاضهُ يغيضُه[3] . وشبيهٌ بهذا ما ذكره ابنُ مالك في كتابه (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد) مميزاً بين اللفظين المتناظرين : الحاضر (بالضاد) ، و الحاظر (بالظاء) ، يقول ابن مالك : " فأما الحاضر -بالضاد- فاسمُ فاعل من حضَر يحضُرُ فهو حاضر وهوالشاهد والمُقيم ضد الغائب . وأما الحاظر -بالظاء- فاسم فاعل من حظرتُ الشيء حظراً ، إذامنعته وهو ضد الإباحة[4] . وقد جمع ابن مالك في كتابه هذا ثلاثاً وثلاثين لفظة من الألفاظ المتَّفقة المبنى المختلفة المعنى وهو ما يُسَّى بالنظائر . وكل لفظة من هذه الألفاظ تُقال بالضاد فيكون لها معنى ، فإذا قيلت بالظاء كان لها معنى آخر[5] . وأما ما نلمسه أحياناً من تقارب في المعنى بين كلمتين تتماثل حروفهما وتختلفان بالضاد والظاء فقط ، فهو أمر من خصائص اللغة العربية ، وقد ذكره ابن جني في خصائصه " وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعنى[6] . ومن ذلك قوله تعالى ﴿ألم ترَ أنا أرسلنا الشياطين

(١) سورة فصلت ٥٠-٥١.

(٢) سورة هود، من الآية (١١).

(٣) الفرق بين الحروف الخمسة، للبطليْوسي، ص ١٦٦-١٦٧.

(٤) الاعتماد في نظائر الظاء والضاد لابن مالك، ص ٢٩-٣٠.

(٥) انظر المصدر السابق نفسه، ص ١٦.

(٦) الخصائص، ابن جني، ١٤٦/٢.

على الكافرين تؤزّهم أزّا﴾[1] أي تزعجهم وتُقلقهم. فهذا في معنى تهزهم هزا والهمزة أُخت الهاء؛ فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين[2].

وقد اهتم اللغويون العرب -قديماً وحديثاً- بموضوع الضاد والظاء. ويذكر الدكتور حاتم الضامن في مقدمة كتاب (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد)، تسعة وثلاثين مؤلفاً في هذا الموضوع[3].

ولكنَّ تمييز كلٍّ من صوت الضاد وصوت الظاء -قديما وحديثا- برمز كتابي مستقل وفونيم خاص (وحدة صوتية مستقلة)، لايمنع أنَّ بعضهم كانَ ولايزال يخلط بينهما. وفي الوقت الحاضر يوجد من لايستطيع التمييز بين الضاد والظاء من أهل العربية؛ فهما كثيراً ما تطابقتا وتبادلتا في تاريخ اللغة العرية، كمايقول برجشتراسر[4]، فكلمة: ضنين، في وقوله تعالى ﴿وما هو الغيب بضنين﴾[5] قرأها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء على معنى (متَّهم).. وقرأ الباقون بالضاد على معنى (بخيل)... وقد روت عائشة رضي لله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ (بظنين، تعني بالظاء)[6]. ومن تبادل الضاء والظاء وتطابقهما ما جاء في كتاب الابدال لأبي

---

(١) سورة مريم، ٨٣.

(٢) الخصائص، ١٤٦/٢.

(٣) انظر: الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، ص ٦-١٢.

(٤) التطور النحوي، ص ١٩.

(٥) سور التكوير، ٢٤.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع، المكي بن أبي طالب، ٣٦٤/٢.

الطيب اللغوي: (يقال: فاضت نفسُه، وفاظت نفسُه أي خرجت)[1]. ومنه أيضاً: "الحضل والحظل: فساد يلحق أصول سعف النخل"[2].

وقد تتبادل الضاد والذال (والذال هو نظير الظاء المرقق)، يقول أبو الطيب: "يُقال: ما ينْبضُ له عرقٌ نبضاً، وما ينْبذُ عرق نبذاً . . . نبض ونبذ، ضرب"[3].

وقد عدّ القدماء حروف الضاد، والظاء، والذال، حروفاً "متقاربة متشاكلة، فقد عاب ابن رشيق القيرواني على كعب بن زهير الجمع بين هذه الحروف في قوله:

تجلو عوارضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ كأنّه مُنْهَلٌ بالراح معلول

"لأنه جمع بين الضاد والذال والظاء؛ وهي متقاربة متشاكلة[4]. ويرى المدقّق في مخرج الضاد الفصيحة الحالية، وصفاتها أنها بعيدة عن التشاكل والاختلاط بالظاء والذال، فمخرجها غير مخرجهما وشدتُها لاتدنيها من رخاوتهما. أما الخلط والتشاكل بين الظاء والذال فمحتمل؛ فهما صوتان متناظران، ولايفرق بينهم سوى تفخيم الأول، وترقيق الثاني. و هذا يجعل الرأي القائل إنَّ الضاد الفصيحة (الحالية) ليست الضاد (القديمة) أكثر احتمالاً.

ومما لاشك فيه أن صوت الضاد (القديمة) كان صعباً على الألسنة حتى

---

(١) كتاب الإبدال، لأبي الطيب، ٢/٢٦٧.

(٢) المصدر السابق نفسه، ٢٧٠.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ١٦.

(٤) العمدة، لابن رشيق، جـ ١/٢٦١، جـ٢/٢٦٤.

على ألسنة بعض العرب، كما أنه كان يشكل مشكلة بالغةً لمن يُريد تعلم العربية من الأعاجم؛ يقول ابن الجزْري: "وليس في الحروف ما يعسُر على اللسان مثله"[1]، لذا فقد تحول هذا الصوت، بمرورا لزمن، الى ما نسمعه الآن على ألسنة مُجيدي القراءات القرآنية؛ فقد أصابه التحولُ في المخرج، وفي صفة أساسية من صفة الصوت اللغوي كما رأينا آنفاً. وبسبب صعوبة النطق بالضادً أُطلق تعبير (لغة الضاد) على اللغة العربية - كما يقول الدكتور ابراهيم أنيس، وليس بسبب تميّز اللغة العربية بهذا الصوت[2]. وكلام سيبويه عن الضاد الضعيفة وقوله: إنها غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة ما تُرضى عربيته، ولاتستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر يؤيد قول الدكتور أنيس إن بعض المتعلمين للعربية من الأعاجم والعرب كان يصعب عليهم نطقُ الضاد[3]. ويعزز كلام الدكتور براهيم أنيس عدم تميّز اللغة العربية بالضاد قول بعض علماء العربية الأجلاّء إن صوت الظاء لا الضاد هو المقصور على العرب، يقول الخليل بن أحمد: "وليس في شيء من الألسن ظاء غير العربية"[4]. ويقول ابن دُريد: "حرفان اختص بهما العرب دون الخلق، وهما: الحاء والظاء، وزعم آرون أن الحاء في السريانية والعبرانية والحبشية كثيرة، وأن الظاء وحدها مقصورة على العرب[5].

---

(١) النشر في القراءات العشر، /٢٦٩.

(٢) الأصوات اللغوية، ص ٤٩، ٥٧.

(٣) ملحوظة: برجشتراسر، يعارض الدكتور إبراهيم أنيس في هذا الرأي، انظر هذا البحث ص ٥٠.

(٤) كتاب العين، ١/٥٣.

(٥) جمهرة اللغة، ١/٤.

صوت الطاء

اختلف اللغويون القدماء والمحدثون في صفة أساسية من صفات الطاء، ولم يختلفوا في مخرجها، كما يدل تحديد اللغويين القدامى والمحدثين لمخرجها؛ فقد عدّ القدماء صوت الطاء مجهوراً[١]، ويعده المحدثون مهموساً[٢]. والطاء (القديمة) صوت شديد (انفجاري)، مجهور مطبق (الصوت المطبق للدال المجهورة)، "لولا الاطباق لصارت الطاء دالاً . . ."[٣]، وأما الطاء (الحديثة) فصوت انفجاري (شديد) مهموس، فخم (مطبق)، وهو النظير المفخم للتّاء (المهموسة)[٤].

ومخرج الطاء القديمة "مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا"[٥]. ومخرج الطاءالحديثة: أسناسني -لثوي[٦]. فلا اختلاف -كما يبدو لنا- بين اللغويين القدامى والمحدثين حول مخرج الطاء.

ولعل تطورا حدث في نطق صوت الطاء، وربما كان ينطق قديما بما يشبه نطق الضاد (الحالية). والضادُ الحالية صوت مجهور، وهو النظير المطبق

---

(١) انظر كتاب سيبويه، ٤/٤٣٤، الأصول في النحو لابن السراج، ٣/٤٠٢، جمهرة اللغة، لابن دُريد، ١/٨، سر صناعة الاعراب، ١/٦٨-٦٩، مخارج الحروف وصفاتها، لابن الطحان (توفي سنة: ٥٦٠هـ)، ص ٨٧.

(٢) علم اللغة العام -الأصوات، د. كمال بشر، ص ٨٨.

(٣) كتاب سيبويه، ٤/٤٣٦.

(٤) علم اللغة العام - الأصوات، ص ١٠٢.

(٥) كتاب سيبويه، ٤/٤٣٣.

(٦) علم اللغة العام -الأصوات، ص ٨٩.

(المفخم) للدال حسب نطقنا الحالي[١].

وقد قرن الخليل بن أحمد الطاء بالدال في قوله: "الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها"[٢] والكزازة كما يقول الفيروز أبادي: اليُبس والانقباض . . . وبكَرَةٌ كزّة ضيقة شديدة الصَّريرة، وذهب كزٌّ صُلْب[٣].

ويُفيد نصٌّ سيبويه السابق أنَّ (الطاء) إذا زال إطباقها (أوتفخيمها) أصبحت (دالا) وهذا مخالف لما تُنطق به في الوقت الحاضر؛ إذ إن الطاء (الحالية) إذا زال إطباقها أصبحت تاءً؛ فالطاء الحالية النظير المطبق للتاء[٤]، لا الدال. أما النظير المفخم للدال فهو الضاد (الحديثة)[٥]، فإذا فخمت الدال صارت (ضادا) وليس (طاءً)، وقد يكون هذا دليلاً على أن هذا الصوت الذي يُرمز إليه بـ (ط) كتابة كان يُنطق قديماً بما يشبه الضاد، وبمرور الزمن تحول إلى (طاء) كما يُنطق في الوقت الحاضر[٦].

ومما يعزز جهرَ الطاء قديماً تبادلُها مع الدال (المجهورة) في عدد من الألفاظ. جاء في كتاب الإبدال لإبن السكيت: "مطٌّ الحرف ومدّه بمعنى واحد، ويقال ماله عند إلا هذا فقد وإلاَّ هذا فقط"[٧].

(١) الأصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس، ص ١٠٣.

(٢) كتاب العين، ١/٥٣.

(٣) القاموس المحيط، باب الزاي، فصل الكاف.

(٤) انظر، ص ٩٢. من هذا البحث.

(٥) انظر، ص ٩٢ من هذا البحث.

(٦) انظر: الأصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس، ص ١٥٧.

(٧) كتاب الإبدال، لابن السكيت، ص ١١٩.

ومما يُعـزِّز القـول إن الطاء كـانت تُلفظ قـديماً بما يشـبـه الضـاد الحـاليـة أنّ "سكان جنوب جزيرة العرب مثلاً (كما يقول المستشرق الألماني شادهء) يلفظون الطاء كأنها ضاد المصريين، فيقولون مثلاً: مضر، يعني مطر"[(١)].

ويكاد اللغويون المحدثون يُجمعون على أن الطاء (الحالية) كانت تُنطق بما يشبه الضاد (الحالية) قديماً، يقول الدكتور محمود فهمي حجازي: "ولو طبقنا الفهم العلمي الدقيق لنصوص سيبويه على البحث الصوتي لخرجنا من هذا أن النطق القديم للطاء (ط) هو ما يَنْطبق تماماً على النطق الحالي للضاد في مصر؛ فالضاد في مصر تُنطق مثل الدال، إلاّ أن الضاد مطبقة والدال غير مُطبقة[(٢)].

أما الدكتور تمام حسّان فيرى -خلافاً لما يراه الباحثون المحدثون- أنّ اللغويين القدامى قد أخطأوا حين وصفوا (الطاء) بالجهر؛ فالطاء القديمة مهموسة مهموزة كالتي تُنطق في بعض لهجات صعيد مصر. وهمزُ (الطاء) هو الذي أوقع اللغويين القدامى في الخطأ. ويفسر الدكتور حسان معنى همز الطاء أنه "صحبها إقفالُ الأوتار الصوتية حين النطق، فأصبح عنصرُ الهمز جزءاً لايتجزأ من نطقها، هذه الطاء (كما يقول) مهموسةٌ قطعاً؛ لأن إقفالَ الأوتار الصوتية لايسمح بوجود الجهر[(٣)].

ولكن لو سلّمنا -جدلاً- بسلامة قول الدكتور تمّام حسان إن الطاء القديمة كانت مهموزة فوصفَها القدماء بالجهر (لأنهم عدوا الهمزة صوتاً

---

(١) المدخل الى علم اللغة، ص ٧٥-٧٦.

(٢) اللغة العربية عبر القرون، د. محمود فهمي حجازي، ص ١٠٢.

(٣) مناهج البحث في اللغة،ص ١٢٢.

مجهوراً)، فكيف يعلل الدكتور حسان قول سيبويه: "لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً"، أي إنَّ الطاء (القديمة) هي النظير المفخم لصوت الدال المرقق المجهور؟ ثم بما أن قفل الأوتار الصوتية لايسمح بوجود الجهر (كما يقول الدكتور حسان)، فهو كذلك لايسمح بوجود الهمس؛ فإقفال الأوتار الصوتية يؤدي الى حالة محايدة (لاجهر ولا همس)؛ لذا فقد عدَّ اللغويون المحدثون الهمزة لا مجهورة ولا مهموسة[1].

وبناءً على ماتقدم فإني لا أرى رأي الدكتو تمام حسان أن الطاء كانت مهموزة مهموسة، وأنَّ النحاة العرب قد أخطأوا حين وصفوها بالجهر، معتمداً في استنتاجه هذاعلى نطق بعض القبائل العربية (المحصورة في بيئة جغرافية محدودة)، للطاء مهموزة في وقتنا الحاضر. وهم فئةٌ ضئيلة العدد بالنسبة للناطقين بالطاء غير مهموزةٍ من العرب.

وأما الأستاذ محمد الأنطاكي فيرى أن الطاء كانت منذ القدم مهموسةً لامجهورةً، وكذلك كانت الهمزة والقاف، وأنَّ النحويين العرب القدامى قد أخطأوا حين صنفوا هذه الأصوات ضمن الأصوات المجهورة[2]. ويعتقد الأستاذ الأنطاكي أن خطأ اللغويين العرب في تصنيف هذه الأصوات الثلاثة ناتج عن عدم معرفتهم بالأوتار الصوتية، ودورها في إنتاج الأصوات، ويرى أن الخطأ في تمييز المجهور من المهموس محتمل، لاسيما إذا كان الصوت المجهور شديداً (انفجاريا)، "وذلك بسببِ قصر زمن الجهر في المجهور

(١) انظر، ص ٥١ من هذا البحث.

(٢) انظر: الوجيز في فقه اللغة، من ص ٢٠٠-٢١٨.

لامتلاء الفم بالهواء المبحوس"[1]. ويُضيف الانطاكي أن طلابه "كثيراً ما يخطئون في تمييز المجهور من المهموس إذا كان الصوت المفحوص من الأصوات الشداد"، وهم العارفون أمر الوترين الصوتيين والطرق المختلفة للاستيثاق من أمر الجهر، فما بالك بالغويين القدماء الذين جهلوا أمرَ الوترين الصوتيين ودورَهما في إنتاج الأصوات؟ فوقوعهم في الخطأ أولى!! الخطأ ليس مُستهجناً من اللغويين القدامى، فابن جني -كذا قوله- قد وقع في أخطاء يُستبعد وقوعُها حتى من المبتدئين![2].

ويعزز الاستاذ الأنطاكي قوله إنَّ الطاء كانت ولاتزال مهموسةً، بزعمه أن الشعوب العربية والقُرّاء مجمعون -لاشعورياً- على همسها.

وأرى أن الأستاذ الأنطاكي قد جانبه الصواب في ما ذهب إليه من همس الطاء (القديمة)، وفي الأدلة التي أوردها لتعزيز رأيه؛ فخطأ بعض تلاميذ الأنطاكي في التمييز بين المجهور والمهموس لاينهض دليلاً على احتمال خطأ اللغويين العرب القدامى. وكذلك عدم معرفتهم بالأوتار الصوتية لايمنع معرفتهم بالمجهور والمهموس من الأصوات؛ "إذ من الممكن التفطن الى المقابلة بين المجهور والمهموس تفطناً دقيقاً جداً بدون معرفة سببها الحقيقي"[3]. وقول الأنطاكي إن العرب جميعاً في وقتنا الحاضر، ينطقون الطاء مهموسة ينقصهُ الدقة؛ ففي بعض جهات اليمن ينطقون الطاءمجهورة؛ فهم يقولون مثلاً: "الضّبيب والضّبّاخ، في: الطبيب والطبّاخ، وقد روى المستشرق الألماني

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٢١٧.

(٢) انظر الوجيز في فقه اللغة، ص ٢١٥.

(٣) دروس في علم أصوات العربية، لجان كانتينو، ص ٣٤.

شاده عنهم: مَضَر وقَضَع، في مطروقطع "[1]. وإجماع القراء في وقتنا الحاضر على همس الطاء وهم الذين تعلموا تلاوة القرآن الكريم جيلاً بعد جيل مشافهة. كما يقول الاستاذ محمد الأنطاكي، لايُعد دليلاً -كما أرى- على همس الطاء (القديمة) وخطأ اللغويين القدامى في القول بجهرها إذ إن التحول في الصوت -سواء في صفة من صفاته أو في غير صفة، أو في مخرجه، يتمُّ لاشعورياً ولايستطيع أحدٌ أنْ يتحكم في توجيهه، أو كيفية تحوله. ويحدث تحول الصوت (تطوره) ببطء شديد للغاية على مدى فترة زمنية طويلة جداً، فلا يشعر أهل الجيل الواحد بتغير يُذكر في الصوت المتحوِّل. ومن خصائص التطور الصوتي "أنه جبْريّ الظواهر، لأنه يخضع في سيره لقوانين صارمة لا اختيار للأنسان فيها، ولايد لأحدٍ على وقفها أو تعويقها أو تغيير ما تؤدي إليه[2].

صوت القاف

هناك اختلاف بين اللغويين القدامى والمحدثين في نقطتين بشأن صوت القاف:

١. في المخرج: عد اللغويون القدامى مخرج القاف حنكياً، يقول سيبويه: "ومن مخرج أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج

---

(١) التطور النحوي، د. رمضان عبد التواب، ص ١٧ (الحاشية).

(٢) علم اللغة، د. علي وافي، ص ٢٨٦.

القاف "[١]. ويعده المحدثون لهويّا[٢]. وأما الخليل بن أحمد فقد عد صوت القاف لهويّاً، كما فعل المحدثون[٣]، ولم أجدْ منْ عده لهوياً من القدماء، غير الخليل بن أحمد.

٢. الاختلاف في صوت القافة: وصف اللغويون القدامى القاف بالجهر[٤]، ويصفه المحدثون بالهمس[٥].

ولعلّ صوت (القاف) الذي تكلم عنه العلماء القدماء، كان ينُطق بما يشبه نطقَه الآن في عدد من المناطق مثل حرف (G) بالانجليزية، أو الكاف الفارية (گ)، أو الجيم القاهرية في صعيد مصر[٦]، والمنطقة الشرقية في الأردن، وغزة ومنطقة الخليج العربي، وعلى لسان بعض البدو في الوطن العربي.

ومما يعزز هذا الرأي قولُ الخليل بن أحمد في حرفي القاف، والعين "العين والقاف لاتدخلان في بناء إلا حسنتاه؛ لأنهما أطلقُ الحرف وأضخمُها

(١) كتاب سيبويه، ٤/٤٣٣، وانظر أيضاً: الأصول في النحو، لابن السراج، ٣/٤٠٠، سر صناعة الاعراب، ١/٥٢.

(٢) انظر: اللغة العربية، معناها ومبناها، د. تمّام حسّان، ص ٧٩، المدخل الى علم الغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٥٤، علم الغة العام (الأصوات)، ص ٩٠.

(٣) كتاب العين، ١/٥٨.

(٤) كتاب سيبويه، ٤/٤٣٤، سر صناعة الاعراب، ١/٦٨-٦٩، مخارج الحروف وصفاتها، لابن الطحان، ص ٨٧.

(٥) التطور النحوي، لبرجشتراسر، ص ١٦، الأصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس، ص ٨٤، المدخل الى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٥٤.

(٦) انظر: الأصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس، ص ٨٥.

جرساً[1]، وهو يسميهما حرفي الطلاقة[2]. فإذا عرفنا أن الجَرْس هو الصوت[3]، وأن من معانيه النغم[4]، والطنين[5]، فقد نفهم من ضخامة الجرس، صفة الجهر؛ فجهر الصوت علوه[6]، وهو ضد (الهمس) وهو خفوت الصوت.

ويقو الدكتور رمضان عبد التواب في مراحل تحول صوت القاف: "صوت القاف من الأصوات التي عانت كثيراً من التغيرات التاريخية (المطلقة) في العربية[7] فإن مقارنة اللغات السامية تدل على أنه صوت شديد مهموس ... وهذا النطق المهموس هو الذي نسمعه الآن من أفواه مجيدي القراءات القرآنية في مصر. وقد عدّ قدماء اللغويين العرب (القاف) من الأصوات المجهورة، فإنْ صدق وصفهم هذا، كان ذلك النطق من التغيرات التاريخية في العربية القديمة وقد بقي هذا النطق المجهور في أغلب البوادي في الوقت الحاضر[8].

ونحن الآن نسمع هذا الصوت المجهور في مناطق أخرى متعددة. من

---

(١) كتاب العين، ٥٣/١.

(٢) المصدر السابق نفسه، ٥٤/١.

(٣) انظر شرح المفصل، ١٣٠/١٠.

(٤) جرس الألفاظ د. ماهر هلال، ص ١٣.

(٥) في الأصوات اللغوية، د. غالب المطلبي، ص ٨٤.

(٦) القاموس المحيط، مادة جهر.

(٧) انظر، ص ٧٦، من هذا البحث.

(٨) التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، د رمضان عبد التواب، ص ٢١-٢٠.

الوطن العربي[1]، ونطقه مجهوراً في مناطق متعددة واسعةٍ يعزز صدق وصف العلماء العرب القدماء لهذا الصوت.

ويُرجِّح جان كانتينو أن القاف كان مجهوراً في العربية القديمة؛ لأن قسماً كبيراً من الألسن الدارجة العربية ينطق أصحابها بقاف مجهورة.. ويمكن أن يكون نطقه مهموساً في العربية الفصحى (كذا) اليومَ ناتجاً عن كونه أصبح مهموساً في اللهجات الحضرية المدنية لأن أغلبية المثقفين اليوم من أصل مدني[2].

نستخلص من عرضنا السابق للتحولات الصوتية أن تحولات الأصوات الفصيحة: الجيم، الضاد، الطاء، القاف، هي تحولات تاريخية مطلقة (غير تركيبية[3]، حرة[4] عامة (غير فردية)[5]؛ وكما رأينا في البحث، فإن هذه التحولات (التبدلات) الصوتية التي تتّسم بهذه السِّمات لاتؤثر في تغيير الدلالة المعجمية للكلمة. وقد يكون لهذه التغيرات الصوتية جَرْسٌ موحٍ مشاركٌ في إبراز صورة جمالية صوتية تُدركُ ذاتياً، وتفسّر حسْبَ ذوق السامعِ الفردي. وهذا الجرسُ الفرديّ يتراوحُ بين الخفة والثِّقل، أو القوة والضعف، ولكنَّ دلالة اللفظة المعجمية والاجتماعية لايمسُّها تغيير.

---

(١) انظر، ص ٥٨ من هذا البحث.

(٢) دروس في علم أصوات العربية، ص ١٠٧.

(٣) انظر، ص ٧٦، من هذا البحث.

(٤) انظر ص ٧٦–٧٧ من هذا البحث.

(٥) انظر ص ٤٤ من هذا البحث.

الفصل الثالث

ظاهرة تحول النطق في الأصوات الصامتة في اللهجات الدارجة (العامية) وعلاقتها بالمعنى

قواعد صوتية وأثرها في المعنى

في بحثي في تحول الأصوات الصامتة في اللهجات العامية، وأثر هذا التحول في معنى مفردات اللغة، راعيت الأمور التالية:

١. بعض هذه التحولات الصوتية (المعاصرة) عُرفتْ قديماً، ووصفها القدماى بأنها أصوات غير مستحسنة[(١)].

٢. التحول الصوتي (الابدال الصوتي) يكون في الأصوات المتحدة المخارج أو المتقاربة في مخارجها، يوقل ابن جني: "أصل القلب (أي الإبدال في الحروف، إنما هو في ما تقارب منها وذلك: الدال والطاء والتاء، والذال والظاء والثاء، والهاء والهمزة، والميم والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه"[(٢)].

٣. التبدلات الصوتية تحدث نتيجة عوامل متعددة منها: البيئة المكانية والزمانية والثقافية، والتحضر أو التمدن، واختلاط الأجناس، وتفاعل الأصوات في أثناء النطق الفعلي تفاعلاً يؤدي إلى أن تفقد بعض أصواتها صفةً أو أكثر من صفاتها.

٤. بعض التحولات الصوتية تُودي إلى تغير معنى الكلمة؛ وذلك إذا كان لكل من الصوتين المتبادلين فونيم مستقل (وحدة صوتية مستقلة)، مثل:

---

(١) انظر: كتاب سيبويه، ٤/٤٣٢.

(٢) س صناعة الإعراب، ١/١٩٧.

ثائر: عندما تنطق: سائر

قديم: عندما تنطق: أديم (والأديم هو الجلد)

قريب: عندما تنطق: أريب (والأريب هوالعاقل).

ونلاحظ -أحياناً- أن سياق الكلام قد يؤدي إلى إزالة اللّبس، وتوضيح المعنى المراد.

٥. وفي حالة عدم وجود فونيم مستقل -في اللغة العربية- للصوت البديل، كتحول صوت الكاف مثلاً إلى صوت مركب من التاء والشين (ch)، فإنَّ معنى الكلمة لايتغير، ويُعدّ مثل هذا التغير الصوتي تغيرا حرا[١] (Free Variant) ويُعد مثل هذا الصوت (التاء والشين) ألوفونا لصوت الكاف الفصيح؛ والألوفونات الصوتية لا تؤثر في معنى الكلمة.

٦. يكون تحول الصوت أحياناً تحولاً تركيبياً، وليس مطلقاً[٢]، وذلك لتواجده في بيئة صوتية خاصة، ويزول هذا التحول الصوتي بمجرد تغير بيئته الصوتية.

٧. بعض التحولات الصوتية قد يؤدي الى تشويه الصورة الصوتية للكلمة، والتباس معناها، ويُعد مثل هذا التحول انحرافاً صوتياً، مثل:

ثقَة ينطقها بعض العامة، سأه.

---

(١) انظر: ص ٧٦-٧٧ من هذا البحث.

(٢) انظر ص ٧٦ من هذا البحث.

ينقدْ ينطقها بعض العامة، ينِتز.

أقَع ينطقها بعض العامة، أآع.

ظِل ينطقها بعض العامة، ثِل.

الهمزة

كملة (هَسّ)، كما ينطقها أهل الريف في فلسطين، قد تكون من كلمة (الساعة)، ويعزِّزُ هذا الاحتمال انتشارُ لفظة (إسّ) في بعض مدن فلسطين ولفظة (هَسَّع) في بعض قرى فلسطين، فإذا صحَّ هذا الفرض تكون الهمزة قد أُبدلت (بالهاء)؛ والهمزة والهاء مخرجهما من الحنجرة؛ والإبدال الصوتي يحدث بين الأصوات ذات المخرج الواحد، أو المتقاربة المخارج.

وكلمة (لا) تنطق في بعض مدن فلسطين (لأّ) بهمز الألف والتشديد، واتباعه صُويَت الفتحة. وفي الريف الفلسطيني تُنْطق (لَع) بإبدال الهمزة عَيْناً، وتُسمع كذلك في بعض مناطق الريف الفلسطيني، وصحراء النقب كلمة (سَعل) بدلاً من سَألَ؛ والهمزة والعين متقاربان جداً في المخرج؛ فالهزمةصوت حنجري والعين صوت حلقي[1]. وهذه لهجة تميمية قديمة؛ قد كانت تميم تقلب الهزمة عيناً، وهذا ما سماه اللغويون القدماء عنعنه تميم. قال ذو الرِّمَّة:

---

(١) انظر: (في مخارج الأصوات)، ص ٦٩، من هذا البحث.

أعَن ترسَّمتَ منْ خرقاء منزلةً ماءُ الصبابةِ منْ عينيكَ مَسْجوم[1]

يُريد (أأنْ)

وذكر ابنُ السكيت عدداً من الألفاظ نُطقت بالهمزة والعين، يقول: "يُقال: استأديْتُ الأمير على فلان في معنى استعديتُه، ويُقال: أردت أنْ تفعل كذا، وبعضُ العرب يقول – أردت عنْ تفعلَ . . . وسمعتُ أبا عمروُ يقول: الأُسْن: قديمُ الشّحْم، وبعضُهم يقول: العُسْن"[2].

وكانت قبيلة طيّء تقول (هنْ) بدل إنْ)، بإبدا الهمزة هاءً، وهي تشبه (Hen) الآرامية التي معناها نفس كلَمة (إنْ) العربية[3].

ويعلل الدكتور علي الحمد، في معرض حديثه عن الهمزة المضغوطة والهمزة المرفهة، إبدالَ الهمزة من الهاء والعين أحياناً، "لقرب مخرجها – مضغوطة– من هذين الحرفين"، فهي كما يقول الدكتور الحمد، "من أقصى الحلق –حنجرية مزمارية"[4]. والهاء صوت حنجري، والعين حلقي[5].

ونلحظُ أن الهمزة تحولت في بعض المفردات العربية، في عدد من اللهجات العامية، الى فاء أو واو، ويعزو الدكتور علي عبد الواحد وافي هذا التحول الى وقوع الهمزة في أول الكلمة؛ فكلمة "أُذن تحولت في عامية

(١) الصاحبي، لأحمد بن فارس، ص ٥٣.

(٢) كتاب الإبدال، لابن السكيت، ص ٨٤–٨٥.

(٣) التطور النحوي، برجشتراسر، ص ٥٠.

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ص ٨٠.

(٥) انظر: ص ٦٩، من هذا البحث.

المصـريين الى (ودن)، و (أين) تحـولـت الى (فين) أو الى (وين) في عـاميـة المصريين إلى (وَدَّى) فيقـال مثلاً (وَدّاهُ المدرسة) بمعنى (أدّى به الى المدرسة) أي: أوصله إليـهـا[١]. وهذه الظاهرة الصوتيـة (أي ابدالُ الهـمزة فـاءً أو واواً) تُسمع أيضاً في بلاد الشام.

والمعروف -بدهيّاً- أن الجهد العضلي الذي يبذله أعضاء النطق يُسبِّب صعوبةً في النطق؛ لذا تُحاول اللغة التخلص منه، أو التقليل منه على الأقل، والهمزة كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب صعبة النطق جداً، لأن نطقها يتم "بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية، ثم انفراجِ هذه الأوتار فجأة، وهذه عملية تحتاج الى جهد عضلي كبير[٢]. وقد حاولت بعض القبائل التخلص منها وخاصة قبائل الحجاز[٣].

والهـمزة، كـمـا يصفـهـا الدكـتور إبراهيم أنيس، "من أشق الحـروف وأعسرها حين النطق لأن مخرجها فتحةُ المزمار، ويحسُّ المرء حين ينطق بها كأنه يختنق وقد عرف القدماء لها هذه الصفة، وأحسوا بها فشاع بينهم من أجل هذا التخلصُ منا لهمزة بجعللها حرفَ مدٍّ حيناً، وسقوطها من الكلام حيناً آخر[٤] ولثقل الهمزة كما يقَول مكي بن أبي طالب "جاز فيها التحقيق، والتخفيف، والبدل، والحذف، وبين بينَ، وإلقاء الحركة"[٥].

---

(١) انظر: علم اللغة، د. علي وافي، ص ٣٠٧.

(٢) التطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ص ٤٧-٤٨.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص ٢٨.

(٥) الرعاية لتجويد القراءة، ص ١٣٣.

ومع أن الهمزة صعبة النطق، كما رأينا من وصف اللغويين المحدثين والقدامى لها، إلا أننا نسمع صوت القاف همزةً في كلام كثير من سكان المدن العربية في فلسطين وسوريا، ولبنان، ومصر، وسنحاول تعلّيل هذه الظاهرة الصوتية، في صوت القاف[1].

ونطق الهمزة عيناً أو هاءً قد يغير معنى الكلمة، مثل:

أنْ عَنْ

إنْ هِنْ

فكُلٌّ من الهمزة، والعين، والهاء، فونيمٌ مستقل (وحدة صوتية مستقلة)، وله رمز كتابي خاص.

وقد يسبب إبدال الهمزة واواً أو فاءً تشويه الصورة الصوتية للكلمة مثل:

أُذُن، ينطقها العامة، ودِن.

أيْن، ينطقها العامة، وين، أوْ، فين.

الثّاء

تُنطق (الثاء) تاءً، في مدن فلسطين، وبعض المناطق العربية، وصوت التاء هو النظير الشديد لصوت الثاء الرخو، وهما متقاربان في المخرج؛ فالثاء صوت سِني، والتاء: صوت سِني -لثوي.

(١) انظر التعليل، ص ١٣٠/١٣١ من هذا البحث.

ويعزو الدكتور علي وافي تحولَ صوت الثاء في اللهجات العامية، في معظم المناطق المصرية، وفي بلاد اخرى، تاءً إلى صعوبة النطق بهذا الصوت، وثقَله على أعضاء النطق؛ إذ أصبح لفظُه على الوجه الصحيح يتطلب تلقيناً خاصًا، ومجهوداً إرادياً، وقيادةً مقصودةً لحركات المخارج، فأصبح يُقال: "توب، تَلج، تخين، تَعلب، تُبعان... بدلاً من: ثَوْب، ثَلْج، ثخين، ثَعلب، ثُعبان"[1].

وتُنطق الثاء (سينا) في بعض المدن العربية، كقولهم، أسَّرَ في أثَّرَ، وسابتْ في ثابت، والثاء والسين متقاربان في المخرج؛ فالثاء صوت سِنّي، والسِين لثويّ.

ويرى الدكتور/ رمضان عبد التواب أن الأصوات الأسنانية: الثاء، والذال، والظاء، نُقل مخرجُها الى ما وراء الأسنان، في بعض اللهجات الحديثة، تخلصاً منَ الجهد العضلي اللازم لنطق هذه الأصوات، فتحولت الثاءُ الى تاءٍ، أوْ سين، يقولون: تَوْب بدل ثَوْب، سابِت بدل ثابت[2].

وعن تبادل الثاء والسين يقول أبو الطيب اللغوي: "قال الفرّاء: يُقال فلان من جنْثك ومن جنْسك بمعنى واحد. وقال أبو نصر: الحُثالة والحُسالة: قشْرْ التمْر وَالَشعيرَ ونَحوَ ذلك مما يرمُى به. ويُقال: إنّه لمن إرثِ صدقٍ وإرسْ صَدْقٍ: أي منْ أصلِ صدقٍ[3].

---

(١) علم اللغة، د. علي وافي، ص ٢١٩.

(٢) التطور اللغوي، ص ٥٢-٥٣.

(٣) الإبدال، لأبي الطيب، ١/١٧٤.

وتُنطق الثاء (فاءً)، في شرق السعودية (في مدينة القطيف، وجزيرة تاورت على وجه التحديد)، حيث يقولون: (فلافة) بدلاً من ثلاثة. والثاء والفاء متقاربان في المخرج؛ فالثاء: صوت سني، والفاء: صوت سنّي - شفوي. وقد جاء في كتاب الخصائص: "قام زيد فُمَّ عمر، الفاء بدل الثاء في ثم"[1].

ويذكر ابن السكّيت في باب: (الفاء والثاء)، العديدَ من الألفاظ التي تبادلت فيها الفاء والثاء، منها: "جَدَف وجَدث: للقبر، الحُثالة والحُفالة واحد، وهو من التمر والشعير، وما أشبههما: القُشارة. ويُقال هو الفناء والثِّناد في فناء الدار. ويُقال الفُوم والثُّوم للحنطة، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود ﴿وثَومها وعدسها﴾[2].

نلحظ تغيُّر معنى الكلمة - أحياناً بإبدال صوت الثاء تاءً أو سيناً؛ فلكل من الثاء والتاء والسين، فونيم مستقل، مثل:

ثائر تنطق سائر

أثر تنطق أسَر

ثَمَر تُنطق سَمر

ثُعبان تُنطق تُعبان

---

(١) الخصائص، ٢/٨٤، وحسب ملاحظة الكاتب الشخصية؛ إذ أقمتُ في جزيرةتاروت مدة عامين.

(٢) سورة البقرة، من الآية/٦٢، الابدال، لابن السكيت، ١٢٥-١٢٦.

الجيم

الجيم (الفصيحة) صوت مركب من الدال والشين المجهورة[1]. وتفقد الشين - من هذا الصوت المركب- بعض صفة الجهر، اذا نطق الجيم مُشدَّداً، في بعض مناطق الريف الفلسطيني، يقولون حجّ، فجَّة، رجَّة، خالياً من الجهر تقريباً

وينتشر بها (الجيم) اللسان في دمشق وبعض المدن السورية، فتصبح شديدة التعطش؛ أي تُنطق شيئاً مجهورةً حسب، ويكاد يزول منها صوت (الدال). وقد ذكر اللغويون القدماء الجيم التي كالشين، وعدوّها من "الفروع غير المستحسنة[2] وقد رُوي عن قبيلة تميم أنهم نطقوا الجيمُ شيناً غير مجهورة[3]. قال زهير بن ذُويب العدوي

فيال تميمٍ صابروا قدْ أشئتُمُ إليه وكونوا كالمُحزَّبة البُسْلِ

أي قد أُجئتمُ، بمعنى: أُلْجتم، وهو مديح[4].

ونحن الآن نسمع كلة (وش)، بدل وجه، ومُشتهد بدل مجتهد؛ فقد تحولت الجيمُ الى شين غير مجهورة. أي فُقد صوت الدال تماماً، وصفة الجهر كذلك من الشين المجهورة.

وتنُطق الجيم (ياء) في منطقة الخليج العربي، يقولون في مسْجد -

---

(١) انظر، ص ٤٦ من هذا البحث.

(٢) انظر كتاب سيبويه ٤/٤٣٢.

(٣) التطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ص١٩.

(٤) انظر: الصحاح، للجوهري، مادة (شيأ).

مسيد، وفي دجاجة دياية، والياء مخرجها قريب من مخرج الجيم؛ فهي وسط الحنك، والجيم صوت: لثوي -حنكي، وقد عد سيبويه الجيم والياء من مخرج واحد من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والسين والياء[1].

وقديماً كذلك أُبدلت الياء جيماً قالوا: أبو علجّ، وبالعشجّ، يُريدون "أبو عليّ والعشيّ"[2] وقيل إنّ بعض بني تميم قال: شَيَرة، للشَّجرة. "وقد رُوى أن بني تميم يقولون في الصهريج وفي جمعه الصهاريج، وهو الذي يجتمع فيه الماء الصِّهريّ والصهاري»[3].

يُنطق صوت الجيم (جميا قاهرية) في مدينة القاهرة، وغيرها من المدن المصرية مثل (گ) الفارسية، أو حرف (g) في الانجليزية؛ والجيم القاهرية هي النظير الشديد للجيم الشامية[4]، (شديدة التعطيش)، وهي تُسمع كذلك (أي الجيم القاهرية) أيضاً في بعض جهات اليمن، والسودان. يقول الدكتور رمضان عبد التواب في تحول الجيم الفصيحة الى جيم قاهرية: "أصبحت (الجيم) كافاً مجهورة تُنطق من الطبق، مع إعمال الأوتار الصوتية في نطق القاهريين، أي إنَّ مخرجها انتقل الى الخلف[5].

---

(١) كتاب سيبويه، ٤/٤٣٣.

(٢) انظر: سر صناعة الاعراب، ١/١٩٢.

(٣) التطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ص ٢٠.

(٤) الأصوات اللغوية، ص ٢٥.

(٥) المدخل الى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٥١.

وقد تكون (الجيم قاهرية) أيسرَ نطقاً من الجيم الفصيحة؛ إذ إن الجيم القاهرية صوت بسيط، والجيم الفصيحة، صوت مزدوج، مركب من دال وشين مجهورة، وهو يجمع بين الشدة والرخاوة. وقد يكون هذا الصوت (أي الجيم القاهرية) هو الصوت الذي ذكره ابن فارس (أو قريبا منه)؛ وهو "الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم -وهي لغة سائرة في اليمن- مثل جَمَل اذا اضطروا قالوا كَمل"[١]. وتُسمع الجيم بما يشبه الدال في صعيد مصر، يقولون: دَمل بدل جمل، وداموسة بدل جاموسة، عبد المودود بدل عبد الموجود[٢]. وبتحول الجيم الفصيحة (دالاً) فإنها تفقد صوت الشين المجهورة كلياً.

إذا نُطقت الجيم الفصيحة جيماً قاهرية، أو نُطقتْ شديدةَ التعطيش، أو فَقَدتْ بعض جهريتها، فَمعنَى الكلمة يبقى ثابتاً دون تغيير؛ فهذه الأصوات تُعد ألوفونات لصوت الجيم (الفصيحة)، والألوفون -كما ذكرنا سابقاً- لا أثر له في تغيير معنى الكلمة.

يُلحظ أن إبدال الجيم الفصيحة ياءً أو شيناً مهموسة، في بعض المفردات، قد يشوه الصورة الصوتية للكلمة، أو يؤدي الى التباس المعنى، مثل: رجل، مسجد، تنطق: رَيُل، مَسْيد. وكلمة (وجوه) ينطقها بعض العامة في المدن (وُشوش).

وقد يؤدي إبدال الجيم الفصيحة دالاً الى تغيير المعنى، مثل:

---

(١) الصاحبي، لابن فارس، ص ٣٦.

(٢) انظر: التطور اللغوي، ص ١٨-١٩، د. رمضان عبد التواب.

جامع : دامع

عبد الموجود : عبد المودود

أو قد يؤدي الى التباس المعنى ، مثل جاد ، تنطق ، داد ، في بعض مناطق صعيد مصر .

الذال

تُنطق الذالُ (دالاً) في بعض المدن العربية ، يقولون : هدا بدل هذا ، ديب بدل ذيب . وفي مصر يقولون : (ده) بدل هذا . والذال والدال صوتان متقاربا المخرج ؛ فالذال صوت سنّي ، والدال صوت سنّي - لثوي ، والدال هو النظير الشديد (للذال) الرخو . ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أنَّ تحول الذال الى (دال) في بعض اللهجات العربية العامية مظهر من مظاهر السهولة والتسيير في اللغة ؛ إذ إن الذال من الأصوات الأسنانية ، والنطق به يتطلب إخراج طرف اللسان ووضعه بين الأسنان عند النطق به ، ولاشك أن ذلك جهد عضلي تخلصتْ منه لغةُ الكلام ، بنقل المخرج الى ما وراء الأسنان[1] . وقد أبدل العربُ -قديماً- الذال بالدال ، فقد جاء في كتاب الابدال لأبي الطيب : القُنْفُذ بالدال والذال[2] . وجاء في كتاب الابدال لابن السكيت ، ما ذاق عذوفاً وما ذاق عدوفا ، أي ما ذاق شيئاً ، ادرعفَّت الابل واذْرعفّت : إذا أسرعت[3] .

---

(١) انظر: التطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ص ٥٢.

(٢) الابدال لأبي الطيب، ١/٣٥٧.

(٣) الابدال، لابن السكيت، ص ١٠٤.

وقد تحولت الذال الى زاء في عدد من الكلمات، في بعض المدن العربية، يقولون مثلاً زنْب، زهنْ، زكي، أعوزُ بالله، بدلاً من: ذَنب، ذهن، ذكي، أعوذُ بالله. وقد انتقل وَضعُ اللسان في هذه الألفاظ من بين الأسنانَ الى ما وراء الأسنان؛ وذلك لتيسير النطق، وتحولت الذال كذلك الى ظاء في بعض مناطق الريف في هذا: هظا.

وقد ذكر اللغويون العرب عدداً من الألفاظ تبادل فيها صوتا الذال والزاء، فقد جاء في كتاب الابدال لأبي الطيب: "يقال: ذَرقَ الطائر . . . وزرق الطائر. زبَرتُ الكتاب . . . وذبرتُه إذا كتبتُه. ويُقال البُذور والبزور . . . وبذرت البذر، بزرتُ البزر"[1].

فإبدال الذال زاء، قد يؤدي الى اختلاف في المعنى، مثل: ذلَّ: زلّ، أعوذُ: أعوزُ، وفي نطق كلمة أُذن (ودن)، يُسهِّم نطقُ الدال (دالاً) في تشويه المعنى، وإفساد الصورة الصوتية للكلمة.

السين

يُنطق السين، في بعض الألفاظ (زاياً) في اللهجة القاهرية)، يقولون أزْبوع بدل أُسبوع. والسين والزاي صوتان لثويان، والزاي هو النظير المجهور للسين المهموس. وقد عدهما الخليل وسيبويه من مخرج واحد[2]، وهما من حروف الصفير، يقول ابن الجَزْري: "روى الأصمعي عن أبي عمرو (الزّراط)

(١) الابدال، لابي الطيب، ٢/٦-٧.

(٢) انظر مخارج الأصوات الصامتة، ص ٧٦ من هذا البحث.

بالزاي الخالصة، وجاء أيضاً عن حمزة، ووجه ذلك أنّ حروف الصفير يُبدل بعضها من بعض[١]. وأرى في تعليل هذه الظاهرة الصوتية (أي نطق السين زاء في بعض الألفاظ) أنَّ صوت السين المهموس اكتسب صفة الجهر، من الصوت الذي تلاه وهو الباء في (أسبوع)، والراء في السراط، فتحول الى نظيره المجهور وهو الزاء. ونلحظ هذه الظاهرة بوضوح أكثر إذا كان صوت السين ساكناً؛ فالحركة (والحركات) مجهورة عادة) تُشمُّه بعض الجهر، فلا يعود هناك مجال ليتحول الى زاء خالصة، أي أن الحركةَ تجعل بين السين المهموس، والصوت المجهور الذي يليه بعض التوافق الصوتي، أو المماثلة الصوتية الجزئية.

تُنطق السين أحياناً صاداً، والصاد هو نظير صوت السين المفخم (المطبق) يقال صلخ بدل سلخ، صراط بدل سراط. وقد فخمت السين المماثلة الخاء في (سلخ)[٢]، والطاء في سراط. وهذا ما يسميه اللغويون مماثلة جزئية منفصلة[٣]. وهو تحول صوتي تركيبي، مؤقت، طارئ، يزول بزوال التفاعلات الصوتية التي كونته، وعن تحول السين الى صاد يقول ابن دُريد: "السين اذا اجتمعت في كلمة مع الطاء او مع القاف أو مع الخاء[٤]، فأنت مُخير إنْ شئت جعلتها صادا، وإن شئت جعلتها سينا، وليس هذا في كلّ كلام، قالوا: سراط

(١) النشر في القراءات العشر، ٤٨/١، ٤٩.

(٢) يلاحظ أيضاً تفخيم صوت اللام لمماثلة السين المفخمة.

(٣) لمزيد من الاطلاع انظر موضوع (المماثلة الصوتية والادغام)، التطور النحوي، لبرجشتراسر، ص ٢٨.

(٤) يُلحظ أن (الطاء) من حروف الاطباق، والقاف والخاء، حرفا استعلاء، انظر ايضاً سر صناعة الاعراب، ٧٠/١-٧١.

وصراط، وسقر وصقر، وسنجة وصنجة، وسُويق وصُويق[1].

لم أجدْ تغيّراً في معنى الكلمات التي تتحول فيها السين الى ما يشبه صوت الزاء أو الصاد، فهذا التحول هو تحول تركيبي، نتج عن تفاعل السين مع الأصوات الاخرى للكلمة، مما أفقد السين بعض خصائصها، واكسبها خصائص اخرى.

الصاد

تُنطق الصاد قريبة من صوت السين في بعض قرى الريف الفلسطيني، وخاصة في كلمة مثل (صادق)، حيث تبع الصادَ صوتُ (القاف) في الكلمة نفسها، فهم ينطقونها (سادك)؛ إذ تتحول القاف الى ما يشبه الكاف[2]، والصاد الى ما يشبه السين مماثلة للكاف. وقد يكون لفظ الصاد (الى ما يشبه السين) في هذه الكلمة وما يشبهها ناتجاً عن ترقيق (القاف)، فترقّق الصاد لمماثلة الكاف، وهذا ما يُدعى بالمماثلة الجزئية المنفصلة[3]، وتُرقّق الألف للمماثلة كذلك. والسين والصاد صوتان لثويان، والصاد هو النظير المفخم لصوت السين المرقق. والصاد والسين والزاي سماها القدماء حروف الصفير، وهي تُبدل من بعضها بعضاً[4]، وقد قال العرب قديماً: صقر، سقر، زقر. و

---

(١) جمهرة اللغة، ابن دُريد، ١٢/١.

(٢) انظر، صوت القاف، ص ١٢٨ من هذا البحث.

(٣) انظر، بحث المماثلة، ص ١١٨-١١٩، من هذا البحث.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر، ٤٩/١، شرح المفصل، ١٣٠/١٠.

يلحظ الباحث أن تحول الصاد الى ما يشبه صوت السين في لهجة قرى الريف الفلسطيني هو تحول تركيبي وليس مطلقاً؛ فالصاد لاتُرقَّق (أو تكون خفيفة الترقيق) في كلمات مثل: صَوْم، صار، صاحب. ولكننا قد نسمع تحول الصاد في بعض هذه الكلمات الى السين ترقيقاً مصطنعاً، ربما كان ناتجاً عن عوامل حضارية اجتماعية ونفسية، هي ظاهرة خاصةٌ بالنساء أكثر من الرجال.

وقد ذكر سيبويه (الصاد التي كالسين) وعدها من فروع الأصوات غير المستحسنة[1].

ويقول الدكتور إبراهيم انيس: إنَّ تحول الصاد الى السين في بعض اللهجات الحديثة، هو الميل للتخلص من الأصوات المطبقة التي "يتطلب النطق بها وضعاً خاصاً للسان يُحمِّل المتكلم بعض المشقة إذا قيست بنظائرها من الحروف غير المطبقة[2].

ويُنطق الصاد زايا مفخمة في بعض الكلمات مثل: يَصْدق، يصْغُر، يصْبر، يصْدُر في لهجة القاهريين. ويلحظ أنه في كل كلمة من الكلمات السابقة، تلا الصاد صوتٌ مجهور، وكانت الصاد ساكنة، فاكتسب صوتُ الصاد المهموس صفةَ الجهر من الصوت المجهور الذي تلاهُ وأقرب الأصوات المجهورة للصاد هو صوت الزاي المفخم[3]، وهذا ما يسميه اللغويون المحدثون

---

(١) انظر: كتاب سيبويه، ٤/٤٣٢.

(٢) موسيقى الشعر، د. ابراهيم أنيس، ص ٢٩.

(٣) شرح المفصل: ١٠/١٣٠، والزاي والصاد من مخرج واحد، فهما لثويان، الصاد والزاي من حروف الصفير، كما سماها القدماء، وهي تُبدل من بعضها بعضا انظر النشر ١/٤٩.

مماثلة جزئية[1].

وقد سجل اللغويون العرب القدامى، إبدال الصاد زايا (في بعض اللغات)، يقول ابن دريد: "إذا جاورت الصادُ الدال، والصاد متقدمة، فإذا سُكنت الصادُ ضعفت، فيحولونها في بعض اللغات زايا. فإذا تحركت ردوها الى لفظها، مثل قولهم: فلان يَزدُق في كلامه، فإذا قالوا صدَق، قالوها بالصاد لتحركها، وقد قُرئ: "حتى يَزْدُرَ الرعاء، بالزاي"[2]. ويُسمع الان كلمة (بَزق) بالزاء غير المخفمة بدل كلمة بصق، رغم تحرك الصاد، في بعض اللهجات العامية.

وتعليلي لتحول الصاد في مثل كلمة يصْدق (بسكون الصاد)، زاياً مفخمة، وعدم تحولها في مثل كلمة صدق (بفتح الصاد) زايا مفخمة، أن الحركة (والحركات عادة مجهورة)، تُكسب الصاد بعض صفة الجهر، فيضيقُ الفرق بين صفة الهمس في الصاد، وصفة الجهر في الدال، أي يصبح هناك نوعٌ من المماثلة الصوتية الجزئية اللاشعورية، فتزول الحاجة الفسيولوجية الماسّة لتحول الصاد من الهمس الى الجهر.

وتحوُّل الصاد الى سين، قد يُغير مدلول الكلمة؛ فكلٌّ من الصاد والسين فونيم مستقل، وله رمزٌ كتابي خاص، وبالموازنة بين مدلول بعض الألفاظ

---

(١) انظر: ص ١١٨-١١٩ من هذا البحث.

(٢) جمهرة اللغة، ابن دريد ١٣/١، وهي من الآية ٢٣/القصص، يقول البناء الدمياطي: قُرئ بإشمام الصادِ الزاي للمجانسة والخفة "وهي قراءةُ حمزة والكِسائي وخلف وَرُوَيْس (انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، ص ١٩٣.

عندما تُنطق بالصاد وبين مدلول هذه الألفاظ نفسها عندما تُنطق بالسين نلمسُ اختلاف المعنى بوضوح مثل:

صار، سار

صبر، سَبَر (سَبَر الشي: خبره)[1]

وتحول الصاد الى زاء، قد يُغير مدلول الكلمة أيضاً، فكلمة يصبر تختلف عن معنى كلمة يَزْبُر (يكتُب)[2].

الضاد[3]

يُنطق صوت الضاد (ظاءً) أو قريباً من الظاء في معظم البلاد العربية، على لسان البدو، وهذا ما يعزز القول بأن الضاد (الحديثة) تختلف عن الضاد كما كان ينطقها القدماء؛ "فالضاد القديمة فيها شيء من شدة الضاد (الحديثة)، وشيء من رخاوة الظاء العربية؛ ولذلك كان يعدها القدماء من الأصوات الرخوة"[4]. ويقول الدكتور محمود فهمي حجازي: "صوت الضاد اختفى بمضي الوقت من كل اللغات السامية باستثناء اللغة العربية"[5]. وجاء في كتاب النشر في القراءات العشر، لابن الجزْري، بشأن هذا الصوت: "والضاد

(١) المعجم الوسيط، مادة سَبَر.

(٢) المصدر السابق، نفسه، مادة زَبَر.

(٣) انظر: ص ٨٣ من هذا البحث.

(٤) الأصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس، ص ٤٩.

(٥) مدخل الى علم اللغة، ص ٢٢.

انفرد بالاستطالة، وليس بالحروف ما يعسرُ على اللسان مثله، فإنّ ألسنة الناس فيه مختلفة، وقلَّ من يُحسنُه؛ فمنهم من يخرجه ظاءً، ومنهم من يُخرجه بالذال، ومنهم من يَشُمُّه الزايَ[1]. والضاد والظاء متقاربان في المخرج؛ فالأول سنّي -لثوي، والثاني: سنّي خالص.

ويرى برجشتراسر أن نطق الضاد (الحالية) عند البدو (أي نطقها بما يشبه الظاء)، "نشأ من نطقها العتيق، بتغيير مخرجها من حافة اللسان الى طرفه"[2].

وتُنطق (الضاد) دالاً على لسان بعض السيدات في كثير من المدن العربية؛ وهما صوتان متحدا المخرج (سني -لثوي)، والضاد هو النظير المفخم للدال. ويرى الدكتور ابراهيم أنيس أنّ تحول الضاد (المطبق) الى نظيرة (الدال) المرقق في بعض اللهجات العربية عائد الى الميل للتخلص من صعوبة النطق بالأصوات المطبقة[3].

وقد ذكر اللغويون العرب القدماء (الضاد الضعيفة)، وعدها سيبويه من الأصوات الفرعية غير المستحسنة[4]. ولم يذكر سيبويه وصفا (للضاد الضعيفة)، ولم أجدْ وصفاً لها عند أيٍّ من اللغويين القدماء، أو المحدثين؛ واستناداً الى وصف الضاد الفصيحة (القديمة)، وشبهها الظاء الحالية، نستطيع القول إنَّ سيبويه ربما أراد (بالضاد الضعيفة) ترقيقها، والنحو بها نحو صوت

(١) النشر في القراءات العشر، ٢١٩/١.

(٢) التطور النحوي، برجشتراسر، ص ١٩.

(٣) موسيقى الشعر، ابراهيم أنيس، ص ٢٩.

(٤) كتاب سيبويه، ٤٣٢/٤، أيضاً شرح المفصل، ١٢٧/١٠.

(الذال).

وقد يؤدي نطقُ الضاد ظاءً الى التباس المعنى أو إفساده، ويتبين لنا هذا بوضوح بالموازنة بين هذه المفردات[1]:

١. حَضَرَ (قَدِمَ)، حَظَرَ (مَنَعَ)

٢. الحَضّ (المنع)، الحَظّ (الجَدّ)

٣. ضلّ (نَسِيَ)، ظَلّ (فَعَلَ الشيء نهارا، أودام على فعله)[2].

٤. ضَنّ: بَخِلَ، قال تعالى: ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾[3]. ظنّ: شكّ قال تعالى: ﴿وظننتُم ظنَّ السوء﴾[4]. أو استيقن، قال تعالى: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مُواقعوها﴾[5].

وقد يُؤدي نطق الضاد (دالاً) إلى تغيُّر المعنى، أو التباسه، ويتضح لنا ذلك اذا وازنا بين معانيِ المفردات التالية:

ضَرْب، دَرْب

ضرَّ، دَرّ (كثُر)[6].

---

(١) انظر: الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، لابن مالك، ص ٢٩، ٣٢، ٣٤، ٣٨.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مادة (ظلّ).

(٣) سور التكوير، من الآية (٢٤).

(٤) سورة الفتح من الآية (١٢).

(٥) الكهف، آية (٥٣).

(٦) انظر: المعجم الوسيط، مادة (درّ).

الطاء[1]

تَنْطقُ بعضُ السيدات، في بعض المدن العربية، صوت الطاء تاءً تَظَرُّفاً، أو نتيجة عَوامل حضارية: اجتماعية -نفسية، يقُلن مثلاً: تيِّب بدلاً من طيِّب، وتاب بدلاً من طاب، مع ترقيق الألف لمماثلة صوت التاء المرقق. والطاء والتاء مخرجهما واحد، وهو أسناني -لثوي. وصوت التاء هو النظير المرقق للطاء (المطبقة).

وتحوُّل الطاء (تاءً)، قد يؤدي إلى تغير معنى الكلمة، أوالتباس معناها؛ لنوازن بين معاني المفردات التالية:

طاب، تاب

طين، تين (فاكهة معروفة)

طَرَف، تَرَف (الرفاهية).

والمعروف أنَّ كلاً من الطاء، والتاء، فونيم صوتي مستقل، له أثره في معنى الكلمة.

الظاء

يُشْرِبُ بعضُ سكان المدن العربية الظاء زاءً مفخمةً، فيقولون يحفَظك[2] بدلاً من اللَه يحفظك، ينطقونها (زاء) مفخمة، يقول الدكتور كمال بشر بشأن

(١) انظر، ص ٩٢ من هذا البحث.

(٢) انظر: رمز (ژ)، ص ١١ من هذا البحث.

هذا الصوت: " ويُنطق خطأ (الظاء) كمالو كان زاياً مفخمة، وهذا هو النطق المعتاد في اللهجات العامية بمصر، ولكننا نلحظ أنَّ كثيراً من العرب في لهجاتهم العامية ينطقون هذا الصوت بصورة صحيحة، وهذا ملحوظ في نطق العراقيين والكويتيين بوجه خاص[1]. ويُلحظ نطقُه صحيحاً أيضاً، على لسان البدو، وسكان الأرياف العربية.

ويرى برجشتراسر أنَّ الظاء (الفصيحة) حافظتْ على صورتها النطقية، فلم تتحولْ وبقيت كما وصفها اللغويون القدماء، إلا أنَّ التغيّر أصابها على ألسنة كثير من أهل المدن فتحولت الى أحد حروف الصفير[2]، وهي الآن عند كثير من أهل المدن أحدُ حروف الصفير، وعند سائر العرب مثل ذاك مطبقة، وهذا هو نفس نطقها العتيق؛ فنرى من ذلك أن نطق الظاء كان قريباً من نطق الضاد[3]. (يعني الضاد (القديمة).

وقد تحول صوت الظاء على لسان بعض سكان المدن في مصر وفلسطين الى ضاد (حديثة)[4] تخلصتْ منه لغةُ الكلام، بنقل المخرج الى ما وراء الأسنان[5]. ويقول الدكتور إبراهيم أنيس: إن الظاء (المطبق) تحول الى نظيره الذال (المرقق)، في بعض اللهجات العامية؛ وذلك للتخلص من صعوبة النطق

---

(١) علم اللغة العام (الأصوات)، ص ١١٩.

(٢) اعتقد أنه يعني (بأحد حروف الصفير)، الزاء المفخمة (ژ).

(٣) التطور النحوي، ص ١٩.

(٤) انظر: المدخل الى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٤٦.

(٥) التطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ص ٥٣.

بالصوت المطبق[1] .

ونطق الظاء ضاداً، قد يوثر في اختلاف معنى الكلمة ؛ فكل من الظاء والضاد فونيم مستقل، وبالموازنة بين المفردات التالية : يتضح لنا مدى اختلاف معنى الكلمة اذا نطقت بالضاد أو بالظاء .

ظنَّ : ضنَّ (بَخل)[2] .

ظَلّ : ضَلّ[3] .

ظَهْر : ضَهْر .

ونطق الظاء زاء (مفخمة) يُعد انحرافاً صوتيا ؛ لأنه يشوه الصورة الصوتية للكلمة، وإن لم يُؤدِّ الى اختلاف المعنى ؛ لعدم وجود فونيم مستقل لصوت (الزاي المفخمة) في اللغة العربية، ونحن نلحظ اختلاف الصورة الصوتية في نطق بعض الألفاظ بالظاء أو بالزاي المفخمة مثل :

ظلام : تُنطق ژلام

ظِلّ : تُنطق ژِلّ

ضابط : تُنطق ژابط .

---

(١) انظر: موسيقى الشعر، ابراهيم أنيس، ص ٢٩.

(٢) انظر: ص ٧٢ من هذا البحث.

(٣) انظر: ص ٦٨ من هذا البحث.

ينطقُ بعض أهل الريف الفلسطيني وبعض البدو (العين)، في كلمة أعْطى، نوناً، فيقولون: أنْطَى، بدلاً من أعْطى. وقد سمى القدماء هذه الظاهرة اللغوية استنطاء، ونسبوها الى قبائل سعد بن بكر وهُذَيل والأزد والأنصار[١]. فهل يمكننا أن نعد هذه الظاهرة اللغوية تحولاً صوتياً (إبدالاً صوتيا)؟ لقد اشترط اللغويون العرب في الإبدال الصوتي وحدة المخرج، أو تقارب مخرجي الصوتين، يقول ابن سيدة: "مالم يتقارب مخرجاه البتة، فقيل على حرفين غير متقاربين، فلا يُسمى بدلاً، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق[٢]. وأرى أنَّ كُلاً من العين والنون في كلمتي: أعطى وأنطى، أصْل: ؛ لتباعد مخرجيهما؛ لذا فإننا لانستطيع أن نَعُدَّ هذه الظاهرة اللغوية تحولاً صوتياً. ويعزز هذا القول ما جاء في القاموس المحيط، مادة (النَّطو): أنطى: أعطى . . . وتناطَى الكلام: تعاطاه وتجاذبه، والمُناطاة: المُنازعة والمُطاولة، وأن تجلسَ المرأتان فترمي كلٌّ واحدةٍ إلى صاحبتها كُبّة غزل حتى تُسدّيا الثوب".

وجاء في لسان العرب، مادة (نطا): "أنْطَيْتُ: لغة في أعْطَيْتُ، وقد قُرئ: إنّا أنْطيناك الكوثر[٣]. . والأنْطاء: العطيّات، وفي الحديث، وإنّ مال

---

(١) انظر: في اللهجات العربية، د. ابراهيم انيس، ص ١٤١.

(٢) المخصص، لابن سيده، سفر ٢٧٤/١٣، وانظر أيضاً: مقدمة (الإبدال لأبي الطيب اللغوي، ص ٢٣، فقد سبقه في هذا.

(٣) الكوثر/١، قرأ بهذه القراءة: الحسن، وطلحة، وابن مُحيْصن، والزعفراني. انظر كتاب "البحر المحيط"، ج٨/٥١٨.

الله مسؤولٌ ومنْطىً أي معطىً . . والإنطاء لغة في الإعطاء " .

وبناءً على ما سبق بحثُه، نستطيع القول إنَّ تقارب المعنى، أو الترادف بين أعطى وأنطى، ومصدريهما ومستقاتهما، ناتج من تشابه صورهما الصوتية؛ وذلك لاشتراكهما (أعطي وأنطى) في ثلاثة أصوات، وهي الهمزة، والطاء، والألف الممدودة، وتماثل جرْسِهما الصوتي كذلك.

الغين

يُنطق صوت (الغين) بين القاف والغين في شرق الجزيرة العربية، وفي بعض مناطق السودان، يقولون: قالب بدلاً من غالب، ورَقَبَة بدلا من رغْبَة، وقادة بدلاً من غادة والقاف والغين متقاربان في المخرج؛ فصوت الغين مخرجه من أقصى الحنك، والقاف صوت لَهوي. ويُلاحظ في هذا النطق أن الغين قد يفقد بعض صفة الجهر، ويكتسب (من القاف) شيئاً من صفة الهمس. ونحن نرى في تحول صوت الغين أن مخرجه تأخر قليلاً، وهذا كما يَلْحظ الباحثُ نادرُ الحدوث؛ إذ إنَّ معظم التحولات الصوتية في المخرج تتم بتقدم المخرج، لابَتأخره.

وقد يُؤدِّي لفظ الغين قافاً، أوْ ما بين القاف والغين، إلى التباس المعنى في بعض الألفاظ، مثل:

غادة تُنطق قادة.

غالب تُنطق قالب.

استغلال تُنطق استقلال.

القاف[1]

يُنطق القاف (كافا)، وربما فُخمت قليلاً، في الريف الأوسط الفلسطيني[2]، وفي بعض مناطق البادية، فهم يقولون: (كال) بدل من (قال)، وتُرقق الألف لمماثلة الكاف المرققة، والقاف والكاف متقاربان في المخرج متماثلان في صفتي الشدة والهمس، فالقاف: صوت لهوي، شديد مهموس. والكاف من أصوات أقصى الحنك، شديد مهموس؛ "فلا فرق بين القاف والكاف إلا أن القاف أعمق قليلاًفي مخرجها"[3]. والملحوظ أنَّ معظم التحولات الصوتية في مخارج الأصوات تتم بتقدم المخرج إلى الأمام.

ويقول ابن دريد إنَّ القاف والكاف من جنس واحد، وهي "حروف أقصى الفم من أسفل اللسان . . . فلذلك لم تأتلف الكاف والقاف في كلمة واحدة إلا بحوافز؛ ليس في كلامهم: قك ولا كق"[4].

وتُمثل ُكلٌّ من مدينتي نابلس وجنين، وبلدة الطيرة، في شمال فلسطين جزيرةً صوتية بالنسبة لنطق القاف[5] حيث إن سكان القرى المحيطة بكل من هذه

---

(١) انظر: ص ٩٧ من هذا البحث.

(٢) أما في أقصى الريف الشمالي لفلسطين فينطقون القاف (فصيحة)، وفي جنوب فلسطين ينطقون القاف مثل الكاف الفارسية (گ)، أو حرف (g) في الانجليزية.

(٣) المدخل الى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٥٥.

(٤) جمهرة اللغة، ابن دُريد، ٦/١.

(٥) حُدّدت هذه البلدان حسب معرفتي الشخصية، وملاحظاتي الخاصة، وقد يكون هناك بلدان أُخرى تتمثل فيها هذه الظاهرة الصوتية.

البلدان، ينطقون صوت القاف مُرقّقاً، وسكان هذه المدن ينطقون القاف مفخماً عموماً. ويُنطق مفخماً جداً في بلدة الطيرة، ويُسمع مفخماً مُشربا بالخاء في مدينة جنين؛ والخاء والقاف متقاربان في المخرج؛ فالخاء من أصوات أقصى الحنك، والقاف لهوي (تقدم المخرج قليلاً إلى الأمام). والخاء هوالنظير الرخو للقاف الشديد.

ويُنطق (القاف) قريباً من صوت (الجيم القاهرية)[١]، أو الكاف الفارسية (گ)، في جنوب فلسطين، وفي الضفة الشرقية من نهر الأردن، وفي العراق والخليج العربي، والسعودية، وعلى لسان البدو. (والجيم القاهرية) صوت (حنكي قَصيّ)، انفجاري، مجهور[٢]. وهذا الصوت أي الجيم القاهرية ينطبق عليه الوصف الذي قدمه علماء اللغة القدماء للقاف؛ فمخرجه (أي القاف كما وصفه اللغويون العرب القدماء) من أقصى اللسان[٣]، وهو صوت مجهور[٤].

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن تحول القاف المهموسة الى جيم خالية من التعطيش -أي الجيم القاهرية المجهورة- في بعض اللهجات العامية، يعود الى أن الأحرف المهموسة تحتاج الى قدر أكبر من هواء الرئتين؛ لذا فهي أشق في النطق من المهجورة[٥]. وقد يكون هو الصوت الذي أشار إليه ابن دُريد والذي كان سائراً في اليمن وهو الحرف الذي بين " الجيم والكاف اذا اضطروا

---

(١) انظر: المدخل الى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٨١.

(٢) انظر: "علم اللغة العام (الأصوات)، ص١١١.

(٣) سر صناعة الاعراب، ٥٢/١.

(٤) انظر: المصدر السابق نفسه، ص ٢٧٨.

(٥) موسيقى الشعر، ص ٣٢.

إليه قالوا كَمَل بين الجيم والكاف[1].

ويُفهم من كلام الدكتور رمضان عبد التواب أن بني تميم كانوا ينطقون القاف كافا فارسية، يقول: "يبدو أن القبائل العربية، لم تكن تنطق القاف بصورة موحدة؛ فها هو ابن دُريد يقول: (فأما بنو تميم فإنهم يُلحقون القاف بالكاف، فتغلظ جداً؛ يقولون الكَوم، يُريدون القوم)، فيكونَ القاف بين الكاف والقاف وهذه لغة معروفة في بني تميم[2].

تنُطق القاف (همزة) في مدن فلسطين، وسوريا، ولبنان، وبعض المدن المصرية. ولا يوجد -كما يبدو لي- تقارب بين صوتي القاف والهمزة في المخرج أو الصفة؛ فالقاف صوت لهوي، انفجاري مهموس، والهمزة صوت حنجري، لامهموس ولامجهور، كما يقول الدكتور كمال بشر، ويوافقه في صفة الهمزة هذه (أي عدم الهمس أو الجهر الدكتور يوسف الهليس، إذا كانت الهمزة منفردة، لانغلاق الوترين تماماً حين نطق الهمزة منفردة، وأما إذا صاحبتها الحركة فأنها تُسمع مجهورةً. وذلك لتحرك الوترين واهتزازهما حين نطق الحركة[3]. والحنجرة متأخرة عن اللهاة تشريحياً، والملاحظ في تغير مخارج الأصوات أنها -في الغالب- تتجه الى الأمام، لا إلى الخلف، فهل هذا التغير في نطق القاف ناتج عَنْ رقّة الحضارة المعاصرة؟! (فنحن نلحظ أن بعض السيدات الانجليزيات يلفظن (T) إذا وقع متأخراً في الكلمة أو العبارة،

---

(١) جمهرة اللغة، ابن دريد، ١/٥.

(٢) انظر: المدخل الى علم اللغة، ص ٧٩ (الحاشية).

(٣) من محاضرة للدكتور يوسف الهليس بعنوان: جُهود علماء المسلمين في الصوتيات.

همـزة؛ فكلمـة (Water) تلفظ (ووأر). وعـبـارة (Yes it is) تلفظ مـثل (يَسْ إإز).

وهل يكون هذا التحـول بسـبب مـحاولة التـخلص من الصـوت المطبق المهـمـوس (القـاف المهـمـوس)، صـعـب النُّطْق، إلى صـوت أقلّ صـعـوبة (الهمزة)؛ فالهمزة صوت لاهو بالمجهور ولابالمهموس؛ والأصوات المهموسة تحتاج إلى قدْر أكبر من هواء الرئتين؛ لذا فهي أشق في النطق من المجهورة[1]. ويقـول الـدكتـور إبراهيم أنيس في مـوطن آخـر من كتـاب مـوسـيقى الشـعـر إن القـاف قـد تطورت من أجل ثقلهـا وصـعـوبة النطق بهـا تطورات كـثـيـرة في اللهـجـات الحـديثـة، فـأحـيـانـاً ينطق بهـا هـمـزة، وأحـيـانـاً جـيـمـا خـاليـة من التعطيش[2].

وهل الهمزة (في اللهجة العامية) شبه انزلاقية، شبيهة بالحركة، كما وصـفـهـا الـدكـتـور سلمـان العـاني[3]، وكمـايرى الدكـتـور علي تـوفيق الحـمـد (المشرف على هذا البحث)؟.

هذه الظاهرة الصوتية تحتاج الى مزيد من البحث والتجارب التقنية، كما أرى؛ إذ إن البـاحـث يَحارُ في تعليل لهـجـة بعض سكان مـدينة القـاهرة عندمـا يقـولون، مـثـلاً: أأع، أو هأع، بدلاً من (أقع)! وفي هذا مـشـقـة في الـنطق، لاتيسير فيه.

---

(١) انظر: موسيقى الشعر، د. ابراهيم أنيس، ص ٣٢.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢٨.

(٣) انظر: ص ٤٣ من هذا البحث.

وقد عُرف قديماً نطق القاف همزة، جاء في كتاب الإبدال لأبي الطيب: "الأشْب والقَشْب الخلط"، ويقال: الأفْز الوَثْبة بالعَجلة، والقَفْز الوثْب"، ويُقال: "زُهاق مائة، وزهاء مائة"[1].

يُنطق القاف عيْناً في السودان، وجنوب العراق[2]. ويُسمع قريباً جداً من صوت الغين في منطقة الخليج العربي. وايران. وفي مصر وفلسطين تُسمع كلمة (يَغْدر) بالغين بدل يقدر. وصوت الغين قريب المخرج من صوت القاف؛ فالغين من أقصى الحنك، والقاف من اللّهاة؛ أي إنّ المخرج تقدم قليلاً إلى الأمام (وهذا هو الملحوظ عادة في تغير مخارج الأصوات). وقد ذكر أبو الطيب اللغوي عدة ألفاظ تبادلت فيها القاف والغين، يقول: "غلام أغلَف وأقْلف: إذا لم يُختَن، "الغمْز من الناس والقَمز: الرّذّال ومَن لاخير فيه". ويُقال غَلْغَل في الأرض . . . وقَلْقَل . . . إذا ذهب في الأرض[3].

يُنطق القاف كالجيم الفصيحة[4] في منطقة الخليج العربي، وأطراف بادية جزيرة العرب الشمالية، فهم يقولون:

جاسِم بدلاً من قاسِم

جِبْلة بدلاً من قِبلة.

---

(١) الابدال، لأبي الطيب اللغوي، ٢/٥٦١-٥٦٢ (دون نسبتها إلى قوم معين).

(٢) انظر: التطور اللغوي، رمضان عبد التواب، ص ٢١.

(٣) كتاب الإبدال، لأبي الطيب، ٢/٣٢٨-٣٩٢.

(٤) نعني (بالجيم الفصيحة)، كما ينطقها مجيدو القراءات القرآنية اليوم، وهي صوت مركب من دال وشين مجهورة، أنظر، ص ٤٦، من هذا البحث.

جلَيب بدلاً قَليب (وهو البئر).

رفيج بدلا من رفيق.

ومن أمثلة تبادل القاف والجيم الفصيحة -قديما- قول أبي الطيب اللغوي:

"القسم هو الجسم بعينه".

"البوائح والبوائق: أي الشدائد والدواهي".

"الجِرجِس والقِرْقِس: دُوَيْبَة تَطير، مَعْروفة".

"يُقال: زلجَت رجلي، وزَلقَت رجلي"[1].

نُطْقُ القاف (كافاً)، قد يؤدي الى اختلاف معنى الكلمة؛ لوجود فونيم مستقل لكل من القاف، والكاف، في اللغة العربية، ويتضح لنا ذلك بالموازنة بين معاني المفردات التالية:

قال، كال

القوم، الكوم

قَدّ (شقّ طولا): كَدّ (اشتدّ في العمل)[2].

أما نطق القاف كافاً جهورة (گ)، أو مثل حرف (g) باللغة الانجليزية فلا يُغير معنى الكلمة؛ لأنه لايوجد فونيم مستقل لهذا الصوت في اللغة العربية

---

(١) كتاب الابدال، لأبي الطيب، ٢/٢٤٠-٢٤٥.

(٢) انظر المعجم الوسيط، مادة (قَدّ) و (كدّ).

وهذا ما يطلق عليه تغييراً حراً[1]؛ (Free Variant) ، لذا يُعدّ هذا الصوت صورةً نطقيةً (الوفوناً)، لصوت القاف الفصيح .

ونطقُ القاف همزةً قد يغير معنى الكلمة؛ فكل من القاف والهمزة فونيم مستقل له أثره في تَغيير المعنى . ويتضح لنا ذلك بالموازنة بين بعض المفردات عندما تُنطق بالقاف ، أوبالهمزة ، مثل :

قديم ، أديم (الجلد) .

قال ، آل (رجع) .

العاقل) ، العائل (رب الأسرة) .

يُلْحظ أن الهمزة في هذه المفردات مخففة أما قَوْلهم : أرابته في قَرابته فالهمزة مفخمة ، وتفخيم الهمزة في هذه الكلمة قد يكون ناتجاً من تفاعلها مع صوت الراء (المكرر) .

الكاف

يُنطق صوتُ الكاف في بعض مناطق الريف الفلسطيني ، ومنطقة الخليج العربي ، والعراق ، ممزوجاً بصفة الجيم الفصيحة (والجيم الفصيحة صوت مركب من دال وشين مجهورة)[2] ، وهو أشبه بصوت مركب من التاء

---

(١) انظر: ص ٧٦-٧٧ من هذا البحث.

(٢) انظر: صوت الجيم، ص ٨١، من هذا البحث.

والشين، أو صوت (Ch) في اللغة الانجليزية[1]، وقد يكون شبيهاً بصوت (الكشكشة) الذي كان شائعاً في نطق بني تميم لكاف المخاطبة المؤنثة في حال الوقف[2]. وكأن الكاف أُبدلت -كما يُسمع هذا الصوت- جيما مهموسة.

وقريب من هذا الصوت، ما ذكره اللغويون العرب القدامى، وهو إبدال كاف المؤنثة شيناً في الوقف، يقول ابن جني: "ومن العرب من يُبدل كاف المؤنثة في الوقف شيناً حرصا على البيان لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفى في الوقف، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شينا، فقالوا: عليش، ومنْش، ومرَرْتُ بش، ومنهم من يُجري الوصل مُجرى الوقف فيبدلون فيه أيَضاً، وأنشدوا لَلمجنون:

فَعيناشِ عيناها وجيدشِ جيدُها سوى أنّ أعظم الساقِ مِنْشِ دقيق[3]

وابن فارس يُسمي لغة إبدال الكاف شيناً[4] كشكشه أسد. وقد تكون الكاف المبدلة شينا، كما يفهم من كلامه، للمؤنث أو المذكر، وليس للمؤنث فقط كما ذكر ابن جني، فهو يقول: "فقال قوم: إنهم (أي بني أسد) يُبدِلون

---

(١) نرى أهل الريف الفلسطيني ينطقون القاف كافا؛ ولذلك يفرّون من الكاف الفصيحة الى تش (ch) بالانجليزية؛ لأن الكاف شُغِلت بالقاف. وهذا حسّ لغوي موفق.

(٢) انظر: في التطور اللغوي، د. عبد الصبور شاهين، ص ٢١٨.

(٣) سر صناعة الاعراب، ١/٢١٦.

(٤) يُلحظ ان الصوت العامي للكاف (حاليا)، هو اشبه بصوت مركب من التاء والشين، أو صوت (ch) باللغة الانجليزية، وليس شينا خالصة.

الكاف شينا فيقولون عليشَ بمعنى عليكَ "[١] . (بفتح الشين والكاف) . وصوت الشين هو النظير الرخو للكاف الشديد[٢] . ومخرج الشين قريب من مخرج الكاف ؛ فالشين صوت لثوي -حنكي ، والكاف من أقصى الحنك[٣] . ويُلحظ من هذا النطق أن المخرج تقدم قليلاً إلى الأمام ، هذه هي القاعدة(العامة) في تحول مخارج الأصوات .

وبعض أهالي نجد ينطقون الكاف (تاء وسينا) ، فهم يلفظون : كيف (تسيف) . وهذا الصوت قريب مما ذكره اللغويون القدماء وهو " أن يصلوا الكافَ سيناً ، فيقولون : عليكس[٤] . وهذا ما أطلق عليه القدماء كسكسة ربيعة[٥] .

قَد تُشرب الكافُ المهموسة ، إذا كانت ساكنة وتلاها صوت مجهور صفة الجهر ، في بعض اللهجات العامة ، " وهذا مايحدث اليوم مع أهل مصر وأهل اللاذقية في الشام) ؛ إذ تسمعهم ينطقون كلمة (أكْبر) على هذه الشاكلة : (Agber)[٦] وقد يكون هو الصوت الذي ذكره سيبويه " الكاف التي بين الجيم والكاف "[٧] ، ونعته بأنه من الأصوات الفرعية غير المستحسنة[٨] . والمعروف أن

---

(١) الصاجي، لابن فارس، ص ٣٥.

(٢) انظر: الأصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس، ص ٢٥.

(٣) انظر: مخارج الأصوات الصامتة، ص ٣٨ من هذا الحديث.

(٤) الصاجي، ص ٣٦.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٣٦.

(٦) المحيط، محمد الأنطاكي، ٤٤/١.

(٧) كتاب سيبويه، ٤٣٢/٤ .

الجيم القاهرية المجهورة (كَ) هي النظير المجهور للكاف المهموس[1]. وتحول صوت الكاف المهموس إلى كاف مجهورة في بعض الألفاظ، هوتحول صوتي تركيبي، وليس مطلقاً، يحدث نتيجة وقوع الكاف المهموس في بيئة صوتية معينة، يزول بزوالها.

عندما يُنطق الكاف أشبه بصوت مركب من التاء والشين، أو مركب من التاء والسين، أومثل حرف (g) باللغة الانجليزية، لايتغير معنى الكلمة؛ لأن هذه الأصوات النطقية (الفعْلية)، تُعد ألوفونات لصوت الكاف الفصيح (لفونيم الكاف)، ويَعُد اللغَويون هذا التبديل الصوتي تغيّراً حراً، لايؤثر في المعنى.

---

(٨) المصدر السابق نفسه، ٤/٤٣٢.

(١) المدخل الى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٥٣.

الباب الثاني

الصوائت

الفصل الأول

ماهية الصوائت، سماتها، وما قيل في مخارجها بين القدماء والمحدثين

تعريف الصوت الصائت

الصوت الصائت هو: "الصوت المجهور الذي يحدث في أثناء، النطق به أنْ يمر الهواء حراً طليقاً خلال الحلق والفم دون أنْ يقف في طريقه أيٌّ عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه نْ يُحدث احتكاكاً مسموعاً"[1].

عدد الأصوات الصائتة:

عدد الأصوات الصائتة في اللغة العربية، ستة، وهي:

١ . الفتحة القصيرة في مثل قبل (أي الفتحة التي تلي القاف).

٢ . الفتحة الطويلة (الألف الممدودة) في مثل: قال.

٣ . الضمة القصيرة، في مثل: كُتب (الضمة التي تلي الكاف).

٤ . الضمة الطويلة (الواو الممدودة) في مثل: كوتب.

٥ . الكسرة القصيرة، في مثل: سِرْ (أي الكسرة التي تلي السين).

٦ . الكسرة الطويلة (الياء الممدودة) في مثل: سيرة.

---

(١) علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر، ص ٧٤، أيضاً دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص ١١٤-١١٥، أيضا: المدخل الى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص٩١.

تسمية الأصوات الصائتة:

يُسمي الدكتور إبراهيم أنيس الأصوات الصائتة (أصوات اللين) : وأصوات اللين في اللغة العربية هي ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة وكسرة وضمه، وكذلك ما سموه بألف المد، وياء المد، واو المد[١] .

ويتفق معه في هذه التسمية، وهذا المفهوم، الدكتور رمضان عبد التواب: " والأصوات المتحركة في العربية الفصحة (كذا)، وما سماه نحاة العرب بالحركات، وهي الفتحة والضمة والكسرة، وكذلك حروف المد واللين، كالألف في (قال)، والواو في (يدعو)، والياء في (القاضي)[٢] .

ويفضل الدكتور كمال بشر تسمية الصوائت حركات[٣]، وإنْ كان من الجائز تسميتها بالصائتة أو المصوتة[٤]، كما يقول. ويفهم من كلام الدكتور كمال محمد بشر أنَّ العربَ أطلقوا كلمة (حروف) على الأصوات الصامتة حسب، دون أصوات الألف والواو والياء، يقول الدكتور بشر: " فالأصوات الصامتة يطلقون عليها الحروف. هذه الحروف هي التي أوْلوها عناية خاصة، ووجهوا إليها معظم جهودهم وبحوثهم الصوتية: فهي التي أخضعوها

---

(١) الأصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس، ص ٢٨.

(٢) المدخل الى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٤٢.

(٣) علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر، ص ٧٣.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٧٣ (الحاشية).

للتصنيف والتقسيم دون الحركات[1]. والدكتور بشر يعني (بالحركات) الحركات الطويلة والقصيرة (أي الأصوات الصائتة كما يُفهم من كلامه في هذا المقام، ومن تقسيمه للأصوات اللغوية الى أصوات صامتة وحركات[2].

ونَودُّ هنا أنّ نُشير الى أن العرب القدماء أطلقوا كلمة (الحروف) على الأصوات الصامتة، وكذلك على أصوات الألف والواو والياء، سواء كانت مدّيّة أم غير مدية. ومصطلح الحركات كان يعني عندهم: الفتحة والضمة والكسرة[3]. والنقطة الأخري التي نود الإشارة إليها هي أنَّ العلماء العرب أولوا أصوات الألف والواو والياء (الحركات الطويلة حسب تقسيم الدكتور كمال بشر للأصوات)، عناية فائقة، سواء من الناحية الصرفية أو الصوتية، والقاءُ نظرة سريعة في أبواب: الإعلال، والقلب، والحذف، والمد، والقصر، من كتب التّراث، تجعلنا ندرك مدى ما بذلوه من جهد في هذا المضمار.

ويُسمي الاستاذ محمد الانطاكي الصوائت (طليقات)، وهي تكتسب تصويتها من اهتزاز الوترين الصوتيين فقط؛ إذ لايكون معها انسداد أبداً لاناقص ولاكامل[4].

(١) المصدر السابق نسه، ص ٧٥-٧٦.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٧٣.

(٣) انظر على سبيل المثال، سر صناعةالاعراب، ١/١٩.

(٤) انظر: المحيط، ١/٣٤.

إنتاج الأصوات الصائتة:

يتحدد موضع نطق الصوت الصائت بوضع اللسان وضعاً معيناً في الفم تجاه الحنك الأعلى، وبردجة ارتفاعِ اللسان، أو هبوطه، أواستوائه، يتحدد الصائت أويُصنف.

وينقل الدكتور غالب المطلبي عن دانيال جونز، قولَه: "تبين أنَّ ارتفاع الجزء الأمامي من اللسان نحو الجزء الأمامي من الحنك أو ما يُطلق عليه الطبق الصلب (hardpalate) مرتبط بأداء مجموعة (الكسرات) وأن ارتفاع الجزء الخلفي من اللسان نحو الجزء الخلفي من الحنك أوما يطلق عليه الطبق اللين (softpalate) فيؤدي إلى تكون (الفتحات)"[1].

وتُشارك الشفتان اللسان في إنتاج أصوات المد، وتحديد خواصها الصوتية، يقول (Abercobie): إنَّ تحديد صوت المد يعتمد علي وضع اللسان داخل تجويف الفم وشكل الشفتين عند إنتاج كل صوت مد، وقد تبين من تصوير أشعة إكس أن اللسان يتخذ وضعاً معيناً عند النطق بكل صوتٍ مد من حيث ارتفاع سطحه المحدَّب[2].

---

(١) في الأصوات اللغوية -دراسة في أصوات المد العربية، ص ٢٩، انظر ايضاً

The pronunciation of English p. 14-16.

(٢) Elemnets of gernal Phonetics, p.55-56.

خصائص الأصوات الصائتة: (من وجهة نظر اللغويين المحدثين).

١. **سعة مجرى الصوت:** عند النطق بالصوائت يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة ثم يتخذُ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل معترضةٌ فتضيقُ مجراه كما يحدث مع الأصوات الرخوة أو تحبس النفس ولاتسمح له بالمرور كما يحدث مع الأصوات الشديدة .

٢. **الوضع السمعي:** الصوائت أوضح في السمع من الصوامت . وليست كلُّ الصوائت ذات نسبة واحدة في الوضوح السمعي ؛ بل منها الأوضح ؛ فأصواتُ اللين المتسعة أوضح من الضيقة ، أي أنّ الفتحة أوضح من الضمة والكسرة[١] .

٣. **الصوائت غير احتكاكية:** فهي تُنْتج باحتكاك يسير جداً ، أو من غير احتكاك اطلاقاً[٢] .

٤. **الجهر:** الصوائت جميعها مجهورة .

٥. **الاستمرارية:** " الصوائت تنتج بحد أقصى من الاستمرارية والإسمعاع وَبحد أدنى من التوتر والاحتكاك "[٣] .

---

(١) الأصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس، ص ٢٦-٢٧. وانظر أيضاً علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر، ص ٧٣ (الحاشية).

(٢) Elements of Gernal phonetics p. 55.

(٣) اسس علم اللغة، ماريو باي، ص ٨٧.

٦. **الطول:** " أصوات اللين بطبيعتها أطول[١] من الأصوات الساكنة . . . . والفتحة أطول من الكسرة والضمة[٢] . وصوت المد قد يكون بسيطا (Monophthong) إذا اقتضى موقعاً ثابتاً لايتغير في أثناء، النطق، مثل الألف في (قال)، وقد يكون مركباً إذا انتقل اللسان في أثناء النطق مباشرة من موقع صوت مَدٍّ إلى موقع صوت مد آخر، مثل: يَوْم، بَيْت[٣] .

وظيفة الصوائت اللغوية (من وجهة نظر اللغويين المحدثين)

وظيفة الصوائت (أو العلل) كما يسميها الدكتور أحمد مختار[٤]، أنها " تمكن أجهزة النطق من الانتقال من موضع ساكن للذي يليه. وأكثر من هذا فنحن نعتمد على العلل- الى حد ما- لنسمع السواكن "[٥] .

موازنة بين الحركات الطويلة والقصيرة في: موضع النطق، والكمية، واختلاف المعنى:

يقول الدكتور سلمان العاني إنه نتيجةً لفحص الحركات الطويلة

---

(١) طول الصوت: الزمن الذي يستغرقه النطق بهذا الصوت.

(٢) الاصوات اللغوية، د. ابراهيم انيس، ص ١٥٤.

(٣) دراسة الصوت اللغوي، ص ١١٦، أيضاً من الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية ص ٤٣-٤٤.

(٤) انظر، ص ١١٦ من كتاب دراسة الصوت اللغوي.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ١١٤.

والقصيرة فسيولوجياً، تبين له وجود اختلاف طفيف في مواضع النطق بين الكسرة والياء، وبين الضمة والواو، غير أنه وجد اختلافاً واضحاً بين موضع نطق الألف وموضع نطق الفتحة[1].

والدكتور كمال بشر لايرى فرقاً بين الحركات الطويلة والقصيرة إلا في الطول أو الكمية (Duration) فهو يقول: "لافرق بين الكسرة القصيرة (ِ) والطويلة (ى) إلا في الطول فقط أو الكمية، وكذلك الفرق بين الضمة القصيرة (ُ) والطويلة (و)"[2].

والملحوظ أن الدكتور بشر لم يذكر في معرض حديثه هذا (الألف والفتحة)، والفرق بينهما في مواضع النطق، وقد يَعني إغفالُ ذكرهما موافقتَه للدكتور العاني على وجود فرق واضح بينهما في مواضع النطق. والاختلاف بين بشر والعاني هو أن العاني يرى اختلافاً طفيفاً في مواضع نطق الضمة القصيرة والطويلة، وكذلك في مواضع الكسرة الطويلة، في حين أن الدكتور بشر لايرى فرقاً في أيٍّ من مواضع النطق هذه.

واللغويون المحدثون يرَوْن أن "الفرق بين حركة قصيرة وأخرى طويلة- في الطول هو تقريباً مضاعفة القصيرة أو أكثر"[3].

وتمثل كل من الحركة الطويلة والحركة القصيرة فونيما مستقلاً (وحدة صوتية مستقلة)؛ لذا فتبديل أحدهما بالآخر يؤدي إلى تغيير المعنى مثل:

(١) التشكيل الصوتي في اللغةالعربية، ص ٤٢، انظر ايضاً دراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر (ص ٢٨٢).

(٢) علم اللغة العام (الأصوات)، كما لبشر، ص ٨٣.

(٣) التشكيل الصوتي عند العرب، د. سلمان العاني، ص ١١٥.

سَبَق، سابَقَ

قُتِلَ، قوتِلَ

مِلْ (صيغة الأمر من مال)، مِيل (وحدة قياس للمسافة).

النظرة الصرفية والنظرة الصوتية للصوائت عند القدماء:

نظر اللغويون العرب القدامى للأصوات الصائتة الطويلة (الألف والواو والياء) من زاويتين:

أ- من زاوية تشكيلة (صرفية)، افتراضية من جهة، وهذا يقابل ما يسمى الآن (phonology).

ب- من زاوية صوتية محضة، من جهة أخرى، وهذا يقابل ما يسمى (phonetics)[1].

وإذا تتبعنا ما كتبه اولئك اللغويون القدامى في (باب الاعلال)، برزت لنا نظرتُهم التشكيلية الافتراضية بوضوح؛ فقد سَمَّوا (الألف والواو والياء) حروف علة لكثرة تغيرها، وسقوطها في الكلام، وعدم إثْباتها في الكتابة أحيانا. فالخليل بن أحمد يُسمي (الألف، والواو، والياء)، حروف علة، ويقدم الأمثلة التالية ليبرهن على كثرة تغيرها وتقلبها.

ضَرَا، ضَرِيَ، ضَرُوَ

---

(١) انظر: ص ١٦ من هذا البحث.

خلا، خلِيَ، خَلُوَ"[1].

وهذه الحروف- كما يرى الخليل- متيغرة؛ فقد نظر فيها نظرةً تشكيلية صرفية، والنظرة الصوتية في ما قدمه الخليل من أمثلة تجعلنا نُدرك ضرورة وجود الألف في "ضرا" لمناسبة الفتحة، ووجود الياء في "ضرِيَ" لمناسبة الكسرة، والواو في "ضَرُوَ" لمناسبة الضمة، وكذلك القول في "خلا، خَلِيَ، خَلُوَ".

ورأيُ الزمخشري مُغرق في الافتراض بشأن هذه الأصوات؛ فالألف تكون في الأسماء والأفعال زائدة، أو منقبلة عن أصل، ليس إلا لكونها -أي الحروف- جوامدَ غير متصرف فيها[2].

ولكن ماذا نقول في ألف (ما) مثلاً؟ أنُعدُّها أصلية في حالة كون (ما) حرفاً مثل (ما جاء سعيد)، وزائدة أومنقلبة عن أصل في حالة كونَها اسماً في مثل قوله تعالى ﴿يُنَزِلُ بقدرِ ما يشاء﴾؟![3]. ومن الواضح أن هذه نظرة (صَرفية) تشكيلية محضَة، وبعيدة كل البعد عن الجانب الصوتي. ويَلحظُ الباحث أنَّ دراسة النحويين (للألف والواو والياء) كانت ترتكز -في معظمها- على الناحية الصرفية الافتراضية، في حين أن القُرّاء واللغويين أبرزوا الجانب الصوتي لهذه الحروف.

وينظر ابن يعيش الى (الألف، والواو، والياء) نظرة تشكيلية صرفة،

---

(١) كتاب العين، ٥٩/١-٦٠.

(٢) شرح المفصل، ٥٤/١٠.

(٣) من الآية ٢٧/ الشورى.

" فمعنى الإعلال التغير، والعلّة تغيّر المعلول عما هو عليه، وسميت هذه الحروف (أي الألف والواو والياء) حروف علة لكثرة تغيرها "[1] .

وقد أدرك ابن جني أن تغيُّر هذه الحروف من حالة إلى أخرى أمرٌ افتراضي وليس حقيقة، فهو يقول: وينبغي أن يُعلم أنه ليس معنى قولنا: إنْ كان الأصل في قام وباعَ، قوَم وبيَع، وفي أخاف وأقام: أخوَفَ وأقْوَمَ: . . . أنّنا نُريد أنَّهم كانوا نطقوا مدة من الزمان بقوَمَ وبيَع ونحوهما مما هو مُغيّر، ثم أنهم أضربوا عن ذلك فيما بعد. وانما نُريد بذلك أنَّ هذا لو نُطق به على ما يوجبُه القياسُ بالحمْل على أمثاله لقيل: قَوَمَ وبَيَعَ . . ."[2] وقد يكَون ابن جني قد أدرك أيضاً أن ظاهرة الاعتلال ظاهرة صوتية صرفه؛ إذ هي محّددة بسياقات صوتية معينة. وهو ما يسميه المحدثون علم الأصوات التشكيلي، فقلب الواو ياء في كلمة (إيجاز) مثلاً، للمناسبة (المماثلة) الصوتية بين الكسرة والياء، وقلب الياء واوا في (موسر)، هو أيضاً للمثالة الصوتية بين الضمة والوا. ونحنُ لو تتبعنا بدقة حَالات الإعلال والإبدال كذلك لأمكننا رد معظمها إلى قانون المماثلة: الجزئية أو الكاملة. وبالرغم من أن ابن جني يقسم (الحروف) الى صحيح ومعتل، إلاَّ أنَّ تقسيمه هذا لايخلو من إدراك لسمات (الألف، والواو، والياء) الصوتية؛ فنظرته لها -كما يبدو لي- ليستَ شكليةَ محضة، إذ يقول في هذا الصدد: "وللحروف قسمة أخرى إلى الصحة والاعتلال، فجميع الحروف صحيح، إلا الألف والياء، والواو، اللواتي هنَّ حروف المدّ والاستطالة، إلا أنَّ الألف أشد امتداداً، وأوسع مخرجاً، وهو

(١) شرح المفصل، ١٠/٥٤.

(٢) المنصف، ١/١٩٠ (شرح ابن جني، لكتاب التصريف، للمازني).

الحرف الهاوي "[1].

مخارج الأصوات الصائتة عند اللغويين العرب القدماء:

أدرك الخليل ميزات الحروف "الصحاح" من حروف "الجوف" (المد). وسمّى حروف الألف والواو والياء والهمزة[2]، حروف "جوف" و "هوائية"، وميزهامن غيرها من الحروف في المخرج؛ "لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مَدْرج اللهاة، إنما هي هاوِّية في الهواء، فلم يكن لها حيّز تُنسب إليه إلاّ الجَوف. وكان يقول كثيراً: الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء[3].

ويقول مكي بن أبي طالب إن الحروف الجوفية ثلاثة "الألف والواو والياء وهنّ حروف المد واللين، سماهن الخليل بذلك لأنه نسبهن إلى آخر انقطاع مخرجهن وهو الجوف[4].

ويقول الخليل في اختلاف مدارج الألف والواو والياء، "والياء والواو والألف منوطات بها (يعني بالهمزة)، ومدارج أصواتها مختلفة، فمدرجةُ الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء منخفضة نحو الأضراس،

---

(١) سر صناعة الإعراب، ١/٧١.

(٢) انظر: ص ١٩/ ٢٠ من هذا البحث.

(٣) كتاب العين، ١/٥٧.

(٤) الرعاية لتجويد القراءة، لمكي، ص ١٤٢.

ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين وأصلهن من عند الهمزة. ألا ترى أن بعض العرب إذا وقف عندهنّ هَمَزهن[١]، كقولك للمرأة (افعلِئ) وتسكت، وللاثنين (افعلا) وتسكت، فإنما يُهْمَزْنَ في تلك اللغة لأنهن إذا وُقف عندهن انقطع انفاسهن فرجعن إلى أصل مبتدئهن من عند الهمزة. فهذه حال الألف اللينة، والواو الساكنة بعد الضمة والياء الساكنة بعد الكسرة وهؤلاء في مجرى واحد[٢]، فالمجرى واحد كما ذكر الخليل والتمييز بين صوت وآخر من هذه الأصوات يكون في طريقه الخروج فقط. ونَلحظ هنا أنه يوجد اختلاف بين اللغويين المحدثين والخليل بن أحمد في تحديد مواضع إنتاج كلٍّ من (الألف والواو والياء)[٣]. وهذا يعود طبعاً إلى الوسائل التقنية والإمكانات العلمية التي تُميّز عصرنا الحالي من العصور السالفة.

عندما فرّق الخليل بين نوعي الحروف وسماها: صحاحا وجُوفاً (هوائية)، فإنه نظر إليها نظرة صوتية. وعندما يُسمي كلا من (الهمزة والألف والياء والواو) حرفَ علة، ويصفها بأنها من الحروف (العويصة)، فهو ينظر إليها من زاوية صرفية تشكيلية، يقول الخليل: "فأما الهمزة فلا هجاء لها إنّما تُكتب ألفاً مرةً ومرةً واوا ومرةً ياء. فأما الألف اللينة فلا صرف لها، إنما هي جرْسُ مَدَّة بعد فتحة، فإذا وقعت عليها صروف الحركات ضعفت عن احتمالها واستنامَتْ إلىّ الهمزة أو الياء أو الواو، كقولك عصابة وعصائب، كاهل وكواهل، سِعلاة وثلاث سعليات... فالألف اللينة هي أضعف

---

(١) انظر ايضاً: كتاب سيبويه، ١٧٦/٤.

(٢) تهذيب اللغة، ٥/١.

(٣) انظر: ص ١٥٣/١٥٤ من هذا البحث.

الحروف المعتلة، والهمزةُ أقواها متنا، ومخرجُها من أقصى الحلق من عند العين[1].

وقد ميّز سيبويه الألف والواو والياء من غيرها من الحروف وسماها (اللينة)؛ "لأن مخرجها متسع لهواء الصوت أشدّ من اتساع غيرها، وذكر من خصائصها المد، والخفاء، فهي "أخفى الحروف لاتساع مخرجها". يقول سيبويه في اتساع مخارج الواو والياء والألف: "هذه الحروف (الألف والواو والياء) غيرُ مهموسات وهي حروف لين ومد، ومخارجُها متسعة لهواء الصوت؛ وليس شيء من الحروف أوسعَ مخارجَ منها، ولا أمَدَّ للصوت؛ فإذا وقفْتَ عندها لم تضمّها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها، فيهوى الصوت إذا وجد متسعاً حتى ينقطع آخِرُه في موضع الهمز"[2].

وقد سمى ابن دُريد الواو والياء والألف، حروفَ المد واللين "انما سُميت لينة لأن الصوت يمتد فيها . . . وإنما احتملت المد لأنها سواكن اتسعت مخارجها حتى جَرَى فيها الصوت"[3].

وأدرك ابن جني سبب اختلاف أصوات المد الطويلة (الألف والواو والياء) رغم اتحادها في المخرج، وعزا هذاالاختلاف إلى أشكال الحلق والفم والشفتين حين النطق بهذه الأصوات، ولكنه -حسب ما اعلم- لم يذكر دور اللسان في هذا الاختلاف، يقول ابن جني: "والحروف التي اتسعت مخارجفها ثلاثة: الألف، ثُمَّ الياء، ثُمَّ الواو وأوسعها والينُها الألف، إلا أن

(١) تهذيب اللغة، ١/٥١، للأزهري.

(٢) كتاب سيبويه، ٤/١٧٦.

(٣) جمهرة اللغة، ١/٨.

الصوت الذي يجري في الألف مخالفٌ للصوت الذي يجري في الياء والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو . . . فلما اختلفت اشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر، وذلك قولك في الألف آا، وفي الياء، إيْ وفي الواو أو "[1].

وقد أدرك اللغويون القدامى الاختلاف في وضع جهاز النطق (بما في ذلك اللسان) حين النطق بكل من الأصوات الصائتة (الألف والواو والياء)، يقول الاسترابادي: " . . . وانما كان الاتساع للألف (اي الاتساع في المخرج) أكثرَ؛ لأنك تضم شفتيك للواو فيتضيَّق المخرج، وترفع لسانك قِبَلَ الحنك للياء، وأما الألف فلا تعمل له شيئاً من هذا، بل تُفرجُ المخرج "[2].

فالاختلاف يكون في وضع اللسان والشفتين؛ وهذا ما يجعل كلا من هذه الأصوات مميزا من غيره، رغم اتحادها في المخرج.

وعن دور الشفتين واللسان في نطق كل صوت من أصوات المد، يقول ابن يعيش: "والهاوى الألف، ويُقال له الجَرْس، والجرسُ الصوت، وهو حرفٌ اتسع مخرجه لهواء الصوت أشد من اتساع مخرج الواو والياء، وأما الألف فتجدُ الفمَ والحلقَ غيرَ معترضيْن على الصوت بضغط ولا حصر، وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها وأخفاهُنَّ وأوسعهن مخرجا، الألف "[3].

---

(١) سر صناعة الإعراب، ١/٨-٩.

(٢) شرح شافيه ابن الحاجب، ٣/٢٦١.

(٣) شرح المفصل، ١٠/ ١٣٠-١٣١.

وذكر الفَرّاء دور اللسان والشفتين في تحديد نطق الحركات القصيرة، وعلل خفةَ الفتحة وسهولةَ النطق بها لأنها "تخرج من خرقْ الفم بلا كلفة، يقول الفرّاء: " . . . يُسْتَثْقَلُ الضم والكسر لأن لمخرجيهما مؤونةً على اللسان والشفتين، تنضم الرفعة بهما فيثقْل الضمَّة، ويُمال أحد الشّدقين الى الكسرة فترى ذلك ثقيلاً، والفتحة تخرج من خَرْق الفم بلا كلفة[1] .

يدرك الباحث أنّ اللغويون العرب القدماء قد عَزَوا اختلاف أصوات المد: الألف والواو والياء، رغم اتحادها في المخرج، إلى اختلاف وضع اجهزة النطق التي كان باستطاعتهم ملاحظتها بالعين المجردة؛ وهي الفم واللسان والشفتين. والنتائج التي توصلوا إليها لاتختلف كثيراً عن النتائج التي توصل إليها اللغويون المحدثون.

خصائص الصوائت، ووظيفتها اللغوية، حسب وجهة نظر اللغويون العرب القدماء:

وجد العلماء العرب القدماء، صعوبةً في وصف أصوات المد، وقد يكون ذلك لخلوها من ظاهرة الاحتكاك؛ إذ إنَّهم اعتمدوا أساساً على ظاهرة الاحتكاك في تصنيف الأصوات الصامتة ووصفها، يقول الخليل بن أحمد: "والعويص في الحروف المعتلة"[2] .

ويقول ابن سيناء في رسالته: "أمرُ هذه الثلاثة عليّ مُشكل وهو يعني بذلك: (الواو المُصوِّتة وأختها الضمة، والياء المُصوّته وأختها الكسرة والألف

---

(١) معاني القرآن، للفراء، ١٣/٢.

(٢) تهذيب اللغة، ٥١/١.

المصوّتة وأختها الفتحة)[1]. ولكن هذه الصعوبة لم تمنع العلماء العرب القدماء من النظر إلى الأصوات الصائتة على أنها أصوات مميّزة من ناحية مخارجها ووظيفتها اللغوية، وأطوالها الصوتية (أي المُدَّة الزمنية اللازمة للنطق بها)، وخصائصها الصوتية، يقول ابن سينا: "وأما الألف المصوّتة وأختُها الفتحة فأظن أن مخرجها مع اطلاق الهواء سَلساً غير مُزاحم. . . وأما الواو المصوّتة وأختها الضمة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سَلس إلى فوق. وأما الياء المصوّتة وأختُها الكسرة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل سلس به إلى زسفل. ثم أمرُ هذه الثلاثة عليَّ مُشكل. ولكني أعلم يقيناً أن ألأف المَمدودة المصوّتة تقع في ضععف أو أضعاف زَمان الفتحة، وأن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح فيَها الانتقال من حَرف إلى حرف، وكذلك نسبة الواو المَصوّتة إلى الضمة والياء المصوّتة إلى الكسرة"[2].

يلحظُ الباحث أن العلماء المحدثين لم يحددوا بالضبط نسبة الحركة الطويلة الى القصيرة، رغم استعمالهم الاجهزة المخبرية الحديثة؛ فالفرق بين الحركات الطويلة والقصرية في الطول هو "تقريباً مضاعفة القصيرة أو أكثر". وهذا ما توصل إليه العلماء العرب القدماء. فالحركة الطويلة تقع في (ضعف أو أضعاف) الحركة القصيرة، كما يقول ابن سينا في النص السابق.

عَدَّ العلماء العرب القدماء أصوات المد الطويلة والقصرية مجموعة واحدة، لاتختلف إلا في الطول؛ فهي إذن من جنس واحد، وخصائُصها

---

(١) رسالة اسباب حدوث الحروف، ص ٨٤-٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٤-٨٥.

الصوتية واحدة؛ فالحركات كما يحدثنا سيبويه عن الخليل -وهي الفتحة والضمة والكسرة، أجزاء من الألف والواو والياء[1]. وقد عد ابن جني الحركات أبعاض الحروف؛[2] فلافرق بينهما وبين الحركات الطويلة (الألف والواو والياء)، إلا في الكمية حسب (أي الطول)، ويقول إن "بعض متقدمي القوم كان يُمسي الضمة الواوَ الصغيرة، والكسرةالياء الصغيرة، الفتحة الألف الصغيرة[3]، وقد سمى ابن سيناء -كما مر معنا- الفتحة أخت الألف، والضمة اخت الواو، والكسرة أخت الياء[4].

واللغويون العرب القدامى، في رأيهم هذا، يتفقون والمعاصرين في العديد من خصائص الحركات القصيرة، إلا أن الفحوص المخبرية، في الوقت الحاضر، أثبتت أن الحركات القصيرة تختلف عن الحركات الطويلة في الكمية، وفي الكيفية أيضاً (أي في مواضع النطق)[5].

عرف اللغويون العرب وظيفة الحركات القصيرة، فهي زوائد "وهنّ يلحقن الحروف ليوصل الى التكلم به. والبناء هو الساكن الذي لازيادة فيه"[6]. فالحركات عنده ليست من أصل البناء، ووظيفتها الوصل بين الحروف الساكنة. وعن وحدة اصوات المد الطويلة والقصيرة، ووظيفتها اللغوية

---

(١) كتاب سيبويه، ٤/٢٤١- ٢٤٢.

(٢) سر صناعة الاعراب، ٩/١، انظر ايضاً المصدر السابق نفسه، ص ٢٦-٢٧.

(٣) الخصائص، ٢/٣١٥-٣١٦.

(٤) انظر: ص ١٥٨.

(٥) انظر، ٩٢-٩٣ من هذا البحث.

(٦) كتاب سيبويه، ٤/٢٤١-٢٤٢.

الواحدة (الربط بين الحروف)، يقول الاستراباذى: "هذه الحروف -أي حروف العلة كما يذكر في الصفحة نفسها - هي الروابط بين حروف الكلمة بعضها ببعض، وذلك أنك تأخذ أبعاضها، أعني الحركات، فتنظم بها بين الحروف، ولولاها لم تتسق"[1].

لقد عرف اللغويون العرب القدماء العديد من خصائص الأصوات الصائتة؛ ويتضح لنا من تقسيم ابن جني الحروف إلى مجهور ومهموس، أن أصوات الألف والواو والياء، عنده، مجهورة[2]. وهي -كما يقول الاستراباذى- خفية "لاتساع مخارجها"[3]، وهي المتعيّنة من بين الحروف للترديد والترجيع"[4]، لذا يسميها الاستراباذي حروف الإطلاق[5].

نظرة القُراء للصوائت: الألف والواو والياء:

أوْلىَ القراء أصوات الألف والواو والياء عناية فائقة، ووضعوا لها مُسمَّيات دقيقةً مميزة، يقول ابن الجَزْري في معرض حديثه عن مخارج الأصوات: "المخرج الأول الجوف، وهو للألف، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها. وهذه الحروف تُسمى حروف المد واللين[6]. فابن الجزري يهتم بوصف الواو (الساكن المضموم ما قبله)، والياء

(١) شرح شافيه ابن الحاجب، ٢/٢١١.

(٢) انظر: سر صناعة الإعراب، ١/٦٨-٦٩.

(٣) شرح الشافية، ٣/٢٦١.

(٤) المصدر السابق نفسه، ٢/٣١٦.

(٥) المصدر السابق نفسه، ٢/٣١٦.

(٦) النشر في القراءات العشر، ١/١٩٩.

(الساكنة المكسور ما قبلها)، فهو ينظر الى حروف الألف والواو والياء من زاوية صوتية، تختلف عن النظرة الصرفية التشكيلية.

وانطلاقاً من النظرة الصوتية (الأصوات المد واللين)، نجد القُرّاء، يَتَحرَّوْنَ الدقة في وصف هذه الأصوات، يقول ابن الجزري في وصف (الألف): "أما الألف فالصحيح أنها لاتُوصف بترقيق ولاتفخيم، بلْ بحسب ما يتقدمها ترقيقاً وتفخيماً"[1]. وهذا ما يسميه اللغويون المحدثون تحولاً تركيبياً للصوت؛ إذ تتفاعل الألف مع ما يسبقها من الأصوات فتكتسبُ بعضَ صفاتها. ونحن نلحظ هذه الظاهرة الصوتية بوضوح إذا وازنا بين نطق الألف في الكلمتين: صائر وسائر مثلا؛ (فالصاد) هو النظير المفخم (للسين)؛ لذا فُخِّمت (الألف) مع الصاد، ورُققت مع (السين)، وبالمقابل نرى سيبويه يذكر (الألف التي تُمالُ إمالةً شديدةً)، و (ألف التفخيم)، ويَعُدُّهُما فرعين من أصل[2]. فسيبويه في هذا الموقف يقف عند حد وصف الظاهرة الصوتية، في حين يتجاوز ابن الجزري حدَّ الوصف الى التعليل والتوضيح.

وقد فرق القُرّاء، بدقة بين مصطلحات: المد واللين، واللين (حسب)، والعلة وأصوات المد واللين ثلاثة هي: "الألف، والواو الساكنة التي قبلها ضمة، والياء الساكنة التي قبلها كسرة، وإنما سُمّين بحروف المد، لأن مدّ الصوت لايكون في شيء من الكلام إلا فيهن . . . وإنما سُمّين بحروف اللين، لأنهنَّ يخرجن من اللفظ في لين من غير كلفة على اللسان واللهوات"[3].

---

(١) النشر في القراءات العشر، ٢١٥/١.

(٢) كتاب سيبويه، ٤٣٢/٤.

(٣) الرعاية، لمكي بن أبي طالب، ص ١٢٥-١٢٦.

وهذه الأصوات تسمى بالانجليزية (vowels) .

وحرفا اللين (حسب) عند مكي بن أبي طالب هما : "الواو الساكنة التي قبلها فتحة، والياء الساكنة التي قبلها فتحة، وإنما سميتا بذلك، لأنهما يخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان، لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغير حركة ما قبلهما عن جنسهما، فنقصتا المد الذي في الألف، وبقي فيهما اللين لسكونهما فسمُيتا بحرفي اللين "[1] .

واللغويون المحدثون يسمون هذين الصوتين أنصاف مدّ، أو أنصافَ سواكن (Semi- vowels)[2]، والمصطلحان : المد واللين، واللين (حسب) هما مصطلحان صوتيان، وأما مصطلح (العلة) فهو مصطلح صرفي محض. وحروف العلة عند مكي بن أبي طالب أربعة، وهي : الهمزة، والألف، والواو، والياء، وقد فسّر جمعه لهذه الحروف بأن التغير والاعتلال والانقلاب لايكون في جميع كلام العرب إلاّ بها. وقد تدخل الهاء ضمن هذه الحروف "لأنها تنقلب همزة في (ماء) و (أيهات) لأن أصله (ماه)، و (هيهات)، وشبهه "[3] .

---

(١) الرعاية، ص ١٢٦ .

(٢) علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر، ص ٨٥-٨٦ .

(٣) الرعاية، ص ١٢٨ .

الفصل الثاني

الصوائت الطويلة: -الألف، الياء، الواو- المد اللفظي والمعنوي

طبيعة الألف الصوتية: الألف[1].

أدرك اللغويون العرب القدماء أن طبيعة الألف الصوتية تختلف عن الواو والياء، فهي لاتخرج عن المد، والواو والياء تخرجان عن المد بأن تتحركا، أويكون قبل كل واحدة منهما حركة غير جنسها[2]. وهذا ما توصل إليه اللغويون المحدثون فقد أطلقوا على الواو والياء المتحركتين أو الساكنتين، وقبل كلّ منهما حركة من غير جنسها، مصطلح أنصاف علل (Semi vowels) أو أنصاف سواكن[3].

والألف في نظر اللغويون القدماء لاتكون إلا ساكنة[4].

الف العلة:

حين ينظر اللغويون القدماء إلى الألف من زاوية صرفية يسمونه حرف علة يقول الخليل: "فأما الألف اللينة فلا صرف لها، إنما هي جرسُ مدٍّ بعد فتحة، فإذا وقعت عليها صُروف الحركات ضعفتْ عن احتمالها واستنامتْ إلى الهمزة أو الياء أو الواو، كقولك عصابة وعصائب، كاهل وكواهل، سعلاة وثلاث سِعليات . . . فالألف اللينة هي أضعف الحروف المعتلة[5]. ومكي بن

---

(١) انظر: الفصل السابق، أصوات المد: ماهيتها، سماتها، مخارجها.

(٢) انظر: سر صناعة الإعراب، ١/٢٥-٢٦، أيضاً الرعاية، لمكي ص ١٢٥-١٢٦.

(٣) انظر: ص ١٧-١٨ من هذا البحث.

(٤) سر صناعة الإعراب، ١/٤٨.

(٥) انظر: تهذيب اللغة، ١/٥١، ايضاً: جمهرة اللغة، ١/٧.

أبي طالب يدعو الألف حرف علة لتغيره، واعتلاله، وانقلابه[1].

ويُقدَّر طول الألف - حسب وجهة نظر اللغويون المحدثين- بفتحتين قصيرتين[2].

الألف المُمالة:

من صور الألف الصوتية الإمالة، وإمالة الألف عند اللغويين القدماد، هو "أنْ تنحوَ بها نحوَ الياء، ولايكون ذلك إلا لعلة تدعو إليه[3]، وذكر المبّرد أنَّ كلَّ ألف زائدة أو أصلية فنصبها جائز[4]. أي أن إمالة الألف صورة نطقية اختيارية مَن الألف المنصوبة (غير المُمالة)، فالإمالة تغيُّر صوتي حر[5]، ولاتشكل فونيما مستقلا. وإمالة الألف يشترك فيها الاسم والفعل، كما يقول الزمخشري[6]. ويقول ابن جني ". . . . ألف الإمالة (هي) التي تجدها بين الألف والياء، نحو قولك في عالم وخاتم: عالِم وخاتِم"[7]. وهو يعلل كتابة

---

(١) انظر: الرعاية، لمكي، ص ١٢٨.

(٢) انظر: أبحاث في اللغة العربية، د. داود عبده، ص ٣٧.

(٣) سيأتي توضيح علة الإمالة لاحقاً (في هذا الفصل).

(٤) المقتضب، ٤٢/٣، وهو يعني (بالنصب)، عدم الإمالة.

(٥) شرح، ص ٤٣ من هذا البحث.

(٦) شرح المفصل، ٥٣/٩.

(٧) سر صناعة الإعراب، ٥٥/١.

(إحداها وسوّاهنّ) بالياء "لمكان إمالة الفتحة قبل الألف الى الكسرة"[1]. والإمالة كما يقول ابن يعيش: "لغة بني تميم، والفتح (أي التفخيم) لغة أهل الحجاز"[2]. وممن أمال أيضاً. أسَد وقيس، وعامّة أهل نجد، وأما أهل الحجاز فلم يُميلوا إلا في مواضع قليلة[3].

وقد ذكرن سيبويه "الألف التي تُمال إمالةً شديدة، وذكر كذلك ألف التفخيم، "في قولهم: الصَّلاة، والزكاة، والحياة" وعدّهما من الفروع المستحنسة[4]. وهكذا يكون سيبويه قد أدرك الصور النطقية المتعددة للصوت الواحد، والتي لاتشكل معنى مستقلاً، وهي (الالوفونات)، كما يسميها المحدثون.

شعر العلماء العرب القدماء أن إمالة الألف نحو الياء أو الكسرة ظاهرة صوتية يتطلبها الانسجام أو التماثل الصوتي، يقول سيبويه: "فالألف تُمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك قولك: عابد وعالم، ومساجد، ومفاتيح، وعذافر، وهابيل. وانما أمالوها للكسرة ألّتي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها"[5]. ويقول ابن يعيش في هذا الصدد: "الغرض من الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضربٍ من التشاكل... ليتجانس الصوت كما

---

(١) المصدر السابق نفسه، ١/٥٦.

(٢) شرح المفصل، ٩/٥٤.

(٣) المصدر السابق نفسه، ٩/٥٤ (الحاشية).

(٤) كتاب سيبويه، ٤/٤٣٢.

(٥) كتاب سيبويه، ٤/١١٧، شرح المفصل، ٩/٥٣، انظر ايضاً: شرح شافية ابن الحاجب، ٣/٤.

أشربتَ الصاد صوت الزاي لذلك "[1].

والدليلُ على أنَّ الأمالة ظاهرة صوتية هدفها التجانس الصوتي منع إمالة الألف بعد أصوات: "الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والخاء إذا كان حرفٌ منها قبل الألف والألف تليه، وذلك قولك: قاعد، وغائب، وخامد وصاعد، وطائف، وضامن، وظالم، وإنما منعت هذه الحروف الامالة لأنها حروفٌ مستعليةٌ إلى الحنك الأعلى "[2]، ويُلحظ أنَّ هذه الحروف المُستعلية مَنعتْ إمالةَ الألف في الألفاظ السابقة على الّرغم من إتباعها مباشرةً حرفاً مكسوراً.

والخليل بن أحمدسمى إمالة الألف (إجناحاً)، يقولُ سيبويه: "زعم الخليل أن إجناحَ الألف أخفُّ عليهم، يعني الإمالة "[3].

ويُعرِّفُ المحدثون الألف الممالة (وتدخل معها الفتحة القصيرة الممالة) بأنها "صوت طليق يحدث من ارتفاع مقدم اللسان نحو منطقة الغار ارتفاعاً يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المُرقَّقة[4]، ويقل عن ارتفاعه مع الكسرة، ويكون وضع الشفتين مع الإمالة وضع انفراج، إلا أنه دون الانفراج الذي يكون مع

(١) شرح المفصل، ٩/٥٣-٥٤.

(٢) كتاب سيبويه، ٤/١١٨-١١٩.

(٣) كتاب سيبنويه، ٣/٢٧٨.

(٤) الفتحة (القصيرة) المرققة: صوت طليق يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين مع ارتفاعٍ طفيف جداً في مقدم اللسان، وتَراجُعٍ طفيفٍ جداً في الشفتين وتكون الفتحة مرققة إذا جاءت بعد الحروف المستفلة، (والحروف المستفلة هي عدا المستعلية، والمستعلية هي: ص، ض، ط، ظ، خ، غ، ق): وذلك مثل الفتحات في كَتَبَ، (انظر، المحيط، ١/٤٢).

الكسرة[١]، ويصنف المحدثون الألف الممالة بأنها صوت ليّن نصف ضيّق[٢].

الألف المفخمة:

من صور الألف الصوتية: التفخيم؛ وتفخيم الألف النحو بها نحو الضمة. وتُسمّى الألف المفخمة أيضاً الألف الممالة نحو الضم[٣]. والف التفخيم عند ابن جني "هي التي نجدها بين الألف وبين الوا، نحو قولهم: سُلام عليك وقُام زيد. وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو[٤].

ويُعرِّف اللغويون المحدثون الألف المفخمة (وتدخل معها الفتحة القصيرة المفخمة)، بأنها "صوت طليق يحدث من ارتفاع مؤخر اللسان نحو مؤخر الحنك ارتفاعاً يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المفخمة[٥] التي تلي أصوات الاستعلاء، ويقل عن ارتفاعه مع الضمة، ويكون وضع الشفتين مع ألف

---

(١) المحيط، ١/٤٢. انظر أيضاً: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربي، د. غالب المطلبي، ص ١٦٣.

(٢) في البحث الصوتي عند العرب، ص ٧٨.

(٣) المحيط، لمحمد الانطاكي، ١/٤٣ (الحاشية).

(٤) سر صناعة الإعراب، ١/٥٦.

(٥) الفتحة القصيرة المفخمة هي التي يرتفع بها اللسان ارتفاعاً خفيفاً بمؤخرته لا بمقدمته، وتأخذ الشفتان وضع الحياد التام، لاوضع التراجع وتجيء بعد الحروف المستعلية، وهي: (ص، ض، ط، ظ، خ، غ، ق). ومثالها الفتحات في كلمة: صَبَرَ (انظر، المحيط، للأنطاكي، ١/٣٨).

التفخيم وضع انضمام لايبلغ الاستدارة التامة كما هو الشأن مع الضمة "[1]. وتُسمع الآن الألف مفخمة تفخيماً شديداً في مدينة طرابلس في شمال لبنان.

الألف المرققة، والمفخمة تفخيماً ضعيفاً:

ومن صور الألف الصوتية: الألفُ المرققة، والمفخمةُ تفخيماً ضعيفاً، تُمال الألف إمالةً ضعيفةً، وتُسمى مرّققة، إذا تَلَت صوتاً من أصوات الاستفال، وهي (ب، ت، ث، ج، ح، د، ز، س، ش، ع، ف، ك، ل، م، ن)، ولكنّها لاتُرقَّق إذا تلت الراء والواو مع أنهما من أصوات الاستفال؛ وذلك لتكرار صوت الراء، وقوته، وأثر صوت الواو في الألف التي تليه. وتُفخم الألف تفخيماً ضعيفاً، إذا تلت صوتاً من أصوات الاستعلاء وهي: (ص، ض، ط، ظ، خ، غ، ق)، وكذلك إذا تلت الراء أو الواو. ويتضح لنا الفرق في الصورة الصوتية بين الألف المرققة، والمفخمة تفخيماً ضعيفاً، إذا وازنّا بين الصور اللفظية التالية:

قال، كال

صار، سار

ضار، دام.

---

(١) المحيط، للأنطاكي، ٤٣/١، انظر ايضاً: اللغة العربية، معناها ومبناها، ص ٥٣.

وتُعد كل من الألف الممالة، والمرققة، والمفخمة تفخيماً شديداً، أو المفخمة تفخيماً ضعيفاً صورةً نطقية، متحولةً تحولاً تركيبياً وقتياً عن الألف المنصوبة، لتفاعلها مع بقية أصوات الكلمة، ولاتحمل أيةٌ منها صورة فونيمية خاصة بها، إنّما هي الوفونات لصوت الألف المنصوبة؛ لذا فلا أثر لهذه الصور النطقية في تغيير المعنى، إلا الخفة أو الثقل، وأثر جرْس كل منهما في السمع، وما تبعثه من إحساس نفسي بسبب خفتها أو ثقلها. وقد أدرك العلماء العرب القدماء طبيعة تحول الألف إلى ألف إمالة وألَف تفخيم. يقول ابن الجزري: " أما الألف فالصحيح أنها لاتُوصفَ بترقّيق ولا تفخيم بل بحسب ما يقدمها ترقيقاً وتفخيماً "[1]. وتعد هذه الظواهر الصوتية (امالة الألف، وترقيقها، وتفخيمها)، مماثلة صوتية جزئية[2].

الياء[3]

التمييز بين كل من ياء المد واللين وياء اللين (حسب) وياء العلة:

عرف العلماء العرب ماهية كل من: ياء المد واللين، وياء اللين (حسب)، وياء العلة[4]. فياء المد واللين هي عند مكي بن أبي طالب " الياء

---

(١) النشر في القراءات العشر، ٢١٥/١.

(٢) انظر: ص ٧٠ من هذا البحث.

(٣) انظر: الفصل الأول، الأصوات الصائتة.

(٤) انظر: ص ١٠١-١٠٢ من هذا البحث.

الساكنة التي قبلها كسرة "[١]. وياء اللين (حسب)، هي الياء الساكنة التي قبلها فتحة "[٢]. وهذان مصطلحان صوتيان؛ فقد نظر مكي الى الياء هنا من زاوية صوتية. وحين ينظر مكي إلى الياء من زاوية صرفيةتشكيلية فهي حرف علة؛ لأنها دائمة "التغير، والاعتلال، والانقلاب"[٣].

ولقد ماز ابن سينا مخرجَ الياء الصامتة من مخرج الياء المصوِّتة بدقة ووضوح؛ فالياء، الصامتة" تحدُثُ حيث تحدُثُ السينُ والزاي، ولكنْ بضغط وحفز للهواء ضعيف لايبلغ أنّ يُحدث صفيراً[٤]. . . وأما الياءُ المصوِّتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجها مع أدنى تضييقٍ للمخرج، وميلٍ سلسٍ به إلى أسفل "[٥].

وعرف ابن الجزري "الياء غير المدية" (الصامتة)، ومخرجها مع الجيم والشين المعجمة، من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك "[٦].

---

(١) الرعاية، لمكي، ص ١٢٥، وانظر: جمهرة اللغة، ١/٨.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٢٦، انظر: أيضاً: مخارج الحروف وصفاتها، لابن الطحان، ص ٩٠.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ١٢٨.

(٤) يسمى ابن سينا السين والزاي والصاد، حروف صفير، انظر: مخرج هذا الأصوات ص ٧٧ (رسالة أسباب حدوث الحروف).

(٥) رسالة اسباب حدوث الحروف، ص ٨٤-٨٥.

(٦) النشر، ١/٢٠٠.

الياء المشوبة بروائح الواو:

ذكر ابن جني الياء "المشوبة بروائح الواو" وذلك إذا كانت الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة . . . نحو قُيِل، وبُيِع، وغُيِض، وسُيِق[1] ويُفهم من كلام ابن جني أن هذه الياء ليست ياء محضة[2].

وتُعد هذه الياء "المشوبة بالضمة" تحولاً صوتيّاً تركيبيّاً؛ فهي صورة نطقية من الياء (المحضة)، ولاتمثل فونيما مستقلاً، لذا فلا أثر لها في تغيير المعنى.

ومن خصائص الياء (الكسرة الطويلة) أنّ لام الكلمة قد يُبدل بها، مثل قولك في "تقضَّضت: تقضَّيت، وفي أملَلْت: أمْلَيْت، وكذلك تسرَّيت في تَسررْت[3]. ويُسمع في الوقت الحاضر - إبدالُ أحد القضعيفين (وهو لام الكلمة) ياءً في عدد من الألفاظ، نقول مثلاً: مرّيت، ظنّيت، شدّيت، بدلاً من مررْت، ظننْت، شددْت.

تمييز الياء الصامتة من الصائتة:

واللغويون المحدثون يميزون بدقة الياء الصامتة من الصائتة رغم اتحادهما في الرمز كتابةً (ى)؛ يقول الدكتور داود عبده: "حرف الياء في الكتابة العربية يرمز الى صوتين مختلفين: أحدهما صوت يمكن تحريكُه وتشديده، كما في يد

(١) سر صناعة الاعراب، ٥٩/١.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٥٨-٥٩.

(٣) انظر، كتاب سيبويه: ٤٢٤/٤، ايضاً: المقتضبت، ٢٤٦/١.

وبيْن وبيِّن (صامت)، والآخر صوت مد (صائت) كما في كريم وفيه، وهو صوت لايُحرَّك ولايُشدَّد لأنه بطبيعته حركة (كسرة طويلة)، لاصوت صحيح"[1].

وطولُ الياء (الكسرة الطويلة)، ضعْفُ طول الكسرة القصيرة، وهما متماثلتان في جميع الصفات والأحكام (عَدا الطول)[2].

الواو

الفرق بين كل من: واو المد واللين، واللين حسب، وَ واو العلة:

أدرك العلماء العرب الخصائص الصوتية والصرفية (التشكيلية) لكل من: الواو الصائتة، وسمَّوها المدَّ واللين، والواو الصامتة، وسمَّوها اللين (حسب)، وواو العلة (التشكيلية الصرفية)[3].

فواو المد واللين (الصائتة)، يعرفها مكي بن أبي طالب أنها "الواو الساكنة التي قبلها ضمة"[4]. وواو اللين (حسب)، أي الصامتة، هي عند مكّي "الواو الساكنة التي قبلها فتحة"[5]. وهذان المصطلحان صوتيان، فقد نظر

---

(١) أبحاث في اللغة العربية، ص٤٤، انظر أيضا: ص ١٧ من هذا البحث.

(٢) المحيط، لمحمد الانطاكي، ٣٦/١، ايضاً: أبحاث في اللغة العربية، د. داود عبده، ص ٣٧، أيضاً تعريف الكسرة القصيرة ص ١٢٦ من هذا البحث.

(٣) انظر، ص ١٠١-١٠٢ من هذا البحث.

(٤) الرعاية، لمكي، ص ١٢٥.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ١٢٦.

مكي بن أبي طالب إلى الواو هنا من زاوية صوتية وحين ينظر اليها من زاوية صرفية تشكيلية فهي حرف علة؛ لتغيُّرها واعتلالها ، وأنقلابها[١] .

وقد ميّز ابن سينا بدقة الواو الصامتة من الواو الصائتة، يقول: " وأما الواو الصامتة فأنها تَحْدُثُ حيثُ تحدثُ الفاء[٢] ، ولكنْ بضغط وحفز للهواء، ضعيف لايبلُغ أنْ يمانعَه في انضغاطه سطحُ الشفة . . . وأمّا الواوُ المصوّتة واختها الضمة فأظن أنَّ مخرجها مع إطلاق الهواء، مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق[٣] . نفهم من هذا النص ابن ابن سينا أدرك أبرز خصائص الأصوات الصامتة كما عرفها اللغويون المحدثون[٤] .

وقد ألحقَ ابنُ جني الواوَ المتحركة بالحروف الصحاح، لأنَّ الحركة تمُدها قوةً[٥] ولاجرَمَ، فتفاعل الواو مع الحركة (التي تليها) يُفقدها بعض خصائص المد الصوتية (أي يُفقدها سعة المخرج، وعدم الاحتكاك)، وبذلك تكْتَسبُ شيئاً من خصائص الأصوات الصامتة (وهو تضييقُ المخرج، والاحتكاك، مهما كان ضعيفاً).

وقد عَرَفَ ابن الجزْري الواو (غير المدّية)، وهي عنده من الحروف الشفهية " نسبة إلى الموضع الذي تخرج منه وهو الشفتان "[٦] . وهو بتعيينه

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٢٨ .

(٢) انظر، مخرج الفاء، أسباب حدوث الحروف، ص ٨٢.

(٣) أسباب حدوث الحروف، ص ٨٣-٨٤.

(٤) انظر، ص ٣١ من هذا البحث.

(٥) انظر، سر صناعة الاعراب، ٢٢/١، وكذلك الياء المتحركة.

(٦) النشر في القراءات العشر، ٢٠١/١ .

مخرجاً محدداً لهذه الواو "غير المدية" ، يكون قد عدّها من الحروف الصحاح (الصامتة)؛ لأن اللغويين العرب القدماء لـم يحدِّدوا مخرجاً للحروف الصائتة (المد أو المد واللين، كما سمَّوها)؛ و انما نسبوها للجوف أو الهواء[١]

الواو المشوبة بروائح الياء:

ذكر ابن جني الواو المشوبة بروائح الياء، وذلك إذا سبقتها ضمةٌ مشوبة برائحة الكسرة "نحو قولك في الإمالة: مررتُ بمذعور، وهذا ابن بور نَحَوْت بضمة العين والباء نحو كسرة الراء، فأشممتها شيئاً من الكسرة، وكما أنَّ هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمةً محضة، ولا كسرة مُرسلة، فكذلك الواو أيضاً، هي مشوبة بروائح الياء[٢] .

والواو المشوبة بروائح الياء "تُعد صورةً نطقية (للواو)، ولاتُشكِّلُ (فونيما) مستقلاً؛ لذا فلا أثر لها في تغيير المعنى.

واللغويون المحدثون يميزون بوضوح الواو الصامتة من الواو الصائتة، رغم وجود رمز كتابي واحد لهما (و). يقول الدكتور داود عبده: "يرْمزُ حرفُ الواو الى صوتين: أحدهما يَظْهرُ في كلمات مثل ولد، وقَوْل، وَحوَّل (صامت)[٣]، ويظهرُ الآخر في كلمات مثل صَبُورٌ، وأخُوك[٤]، وهو صوت

---

(١) انظر، ص ١٥٣ من هذا البحث.

(٢) سر صناعة الاعراب، ١/٥٩-٦٠.

(٣) لهذه الواو خصائص الأصوات الصامتة؛ إذ أنها تحركت في الكلمة الأولى، وسبقتها حركة مخالفةِ لجنسها في الثانية، وشُدِّدت في الثالثة.

مد[1].

طول الواو (الضمة الطويلة):

يبلغ طولُ واو المد (الضمة الطويلة) ضِعفيْ الضمة القصيرة كما يقول الاستاذ محمد الانطاكي، هما متماثلتان في جميع الصفات والأحكام (عدا الطول)[2].

المد وأثره في المعنى[3].

يُعرِّف الدكتور محي الدين رضمان المدَّ بأنه "امتداد اللفظ بالصوت لعلّةٍ في الصيغة"[4]. والمدُّ -كما يرى الدكتور- رمضان أغنى الظواهر

---

(٤) وصف اللغويون العرب القدماء هذه الواو الساكنة التي قبلها ضمة "أي حركة من جنسها"، انظر: الرعاية لمكي بن أبي طالب، ص ١٢٦.

(١) أبحاث في اللغة العربية، ص ٤٤-٤٥،

(٢) انظر المحيط، لمحمد الانطاكي، ٣٦/١، أيضا: أبحاث في اللغة العربي، د. داود عبده، ص ٣٧.

(٣) الهدف من دراسة هذه الظاهرة الصوتية، هو أساساً التعريف بها، وبيان أثر المد في المعنى.

(٤) وجوه من الاعجاز الموسيقي في القرآن، ص ٧٦، ويكون المد أيضاً لعلة معنوية، كما سيأتي لاحقاً (في هذا الفصل).

اللغوية بالموسيقى[1].

ويكون المدّ "في حرف المد واللين، أي الألف، وهي هكذا دائماً والواو والياء قبل كل واحد منهما حركة من جنسه، وحرفي اللين[2] وهما الواو والياء الساكنتان قبلهما فتحة[3]

وعلةُ الصيغة، كما يرى الدكتور محي الدين رمضان هي: "ملاصقة تلك الحروف الخمسة (يعني: حروف المد واللين الثلاثة، وحرفي اللين، كما ذكر سابقاً). لهمزة أو ساكن مُشدَّد وغير مُشدَّد، نحو: شاء، ماء، شيء، ينوء، صاخّة، الضالّين[4]، فعلة المّد هنا لفظية محضة، اقتضاها تركيب الكلمة، وتفاعل أصواتها. وقد سمى علماء اللغة هذا المد (المد اللفظي)[5]؛ لأن الهدف منه تقوية الصوت، ووضوحُه وإبرازُ ما قد يخفى منه، ولا أثر لهذه الظاهرة الصوتية في تغيير المعنى؛ فهي ليست فونيماً مستقلاً.

وقد أوْلى اللغويون العرب القدامى ظاهرة المد عناية فائقة، ولاسيما القُرّاد؛ وذلك لعلاقة هذه الظاهرة اللغوية بتلاوة القرآن الكريم، ومدُّ الصوت - كما رأوْا- يكون "في حروف المد واللين وهي الألف والواو التي قبلها

---

(١) يقصد (بالظواهر اللغوية):ا لمد والإمالة، والادغام، والهمز والوقف.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٧٦: والمعروف أن المد (في حرفي اللين) دون المد في حروف المدّ واللين، وأقل درجة، انظر، ص ١٦٢/١٦١.

(٣) وجوه من الاعجاز الموسيقي في القرآن الكريم، ص ٧٧.

(٤) وجوه من الاعجاز الموسيقي في القرآن، ص ٧٧ انظر ايضاً سر صناعة الاعراب، ٢٠/١.

(٥) انظر: النشر في القراءات العشر، ٣١٣/١.

ضمة، والياء التي قبلها كسرة، وإنّما يكون المد في هذه الحروف عند ملاصقتهن لهمزة، أو ساكن؛ مشدد أو غير مشدد، نحو جاء، وقائم، ودابة واللائي. في قراءة من أسْكن الياء[1] ومثل مد الحروف في أوائل السور القرآنية مثل: (ألم) ألف، لام، ميم، أو (حم) حاء ميم. أو مد الألف عند الوقف في نهاية الآيات القرآنية من سورة الرحمن ﴿الرحمن، علم القرآن، خلق الانسان، علّمه البيان﴾[2]. وقد يكون المدّ أيضاً في حرفي اللين، إذا أتتْ بعدهما همزة أو مشدّد، وحرفا اللين الواو والياء الساكنتان اللتان قبلهما فتحة نحو (شيء وسوْء)[3] ولكن المد في حرفي اللين (حسب) "دون المد في حروف المد واللين، ونقصاً عن درجته"[4]، كما يقول مكي، ويعلل هذا النقص في المد" نقص حرفي اللين بانفتاح ما قبلهما عن حروف المد والين اللواتي حركة ما قبلَهُنَّ منهن"[5]. وهذا تعليل دقيق ينم عن ذوق لغوي أصيل؛ إذ إنَّ هذين الصوتين يفقدان، بسكونهما وتفاعلهما مع الفتحة السابقة لهما والمغايرة لجرسهما بعض خصائصهما المديَّة، ويكتسبان بعض خصائص الأصوات الصامتة (الصوتية والوظيفية)؛ لذا يُطلْقُ اللغويون المحدثون على هذين الصوتين مصطلح أنصاف علل (Semivowels). والعلة التي دعت الى مد) (حروف المد واللين)، وكذلك حروف اللين (حسب) عند ملاصقتهن

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع، ٤٥/١.

(٢) سورة الرحمن، الآيات من (١-٤).

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع، ٤٥/١.

(٤) المصدر السابق، نفسه، ٥٥/١.

(٥) المصدر السابق نسه، ٤٦/١.

الهمزة "أن هذه الحروف حروفٌ خفية، والهمزة حرفٌ جلد[1]، بعيدٌ المخرج، صعبٌ في اللفظ، فلما لاصقت حرفاً خفياً، خيفَ عليه أن يزداد، بملاصقة الهمزة له، خفاءً، فبيِّن بالمد ليظهر"[2].

والمد يكون على مراتب متفاوتة في الطول، فقد يُقدَّرُ بألفين، أو بثلاث ألفات، أو أربع ألفات، أو خمس ألفات، أو ما فوق ذلك وهي مرتبة الإفراط[3].

ورُبّما أدرك العلماءُ العربُ القدماء أنّ لظاهرة المد (اللفظي) وظيفةً فسيولوجية[4]، بالإضافة الى وظيفته الصوتية (تقوية وإبراز الأصوات الخفية)، وهي (أي الوظيفة الفسيولوجية) تهيئة أعضاءا لنطق وإعدادُها لنطق الحرف الصعب، وهو الهمزة. يقول ابن الجزْري: "وجه المد لأجل الهمز أنَّ حرف المد خفيّ والهمز صعب، فزِيدَ في الخفي، ليتُمكن من النطق بالصعب"[5].

وكما يكون المد لعلّة في الصيغة اللفظية، نتيجةً لتفاعل أصوات الكلمة يكون أيضاً لعلة معنوية، وهو ما يُسمى بالمد المعنوي[6]؛ فقد يوحي مدُّ صوت الألف بالمبالغة في النفي في قولنا (لا إله إلا الله)، "وقد ورد مد المبالغة للنفي

(١) أي حرف قوي شديد.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع، ٤٦/١.

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر، ٣٢١/١-٣٢٦.

(٤) الفسيولوجيا: علم وظائف الأعضاء عند الكائنات الحية.

(٥) النشر في القراءات العشر، ٣١٣/١-٣١٤.

(٦) انظر النشر في القراءات العشر، ٣١٣/١.

في (لا) التي للتبرئة في نحو (لاريب فيه، لاشية فيه، لامردّ له، لاجرم[1].

وللمد المعنوي وظيفةٌ انفعالية؛ فنحن نمدُّ صوتَ الألف في الدُّعاء، كقولنا: يارب! وفي الاستغاثة، مثل: ياالله من ظلم العدو! وفي النُّدبة، مثل: واقلباه!.

(١) المصدر السابق نفسه، ١/٣٤٥، لاجرم - حقاً).

الفصل الثالث

الحركات القصيرة[1]

(١) انظر: الباب الثاني - الفصل الأول.

(ترتيب الحركات حسب الخفة في النطق - كما ذكرها اللغويون القدماء)

١. الفتحة

٢. الكسرة

٣. الضمة

تسمية الحركات:

سمّى اللغويون العرب الأصوات القصيرة (حركات)؛ "لأن الحركة تُقلقُ الحرف عن موضعه ومُستقرّة، وتجتذبُه الى جهة الحرف التي هي بعضُه"[(١)].

وهذا تعبير موفق دال على وظيفة الحركات الصوتية وخصائصها، حيث إنها تصلُ الصوامت ببعضها، وتتفاعل معها فتؤثر وتتأثّر بها[(٢)].

ترتيب الحركات حسب الخفة في النطق:

عدَّ العلماء العرب القدامى الفتحة أخفَّ الحركات، تليها الكسرةُ،

---

(١) سر صناعة الاعراب، ٧/١.

(٢) انظر، ص ١٥٩-١٦٠ من هذا البحث، نرى أن الفتحة تُرقق أو تُفخم حسب الصوت الذي تليه، (الحاشية).

فالضمة، فقد جاء عن سيبويه: "الكسرة أخف عليهم من الضمة، والفتحة أخفّ عليهم من الضمة والكسرة"[1].

ولاتُفرِّق الدراسات اللغوية الحديثة -كما أعلم- بين الحركات القصيرة في الخفة والثِّقل وأما ما ذهب إليه الاستاذ إبراهيم مصطفى أنّ "الفتحة هي الحركة الخفيفة المستحبَّة عند العرب، التي يُراد أن تنتهي بها الكلمة كلما أمكن ذلك؛ فهي بمثابة السكون في اللغة العامة"[2]، فأعتقد أنه ذهب هذا المذهب متأثِّراً بما قاله القدماء في هذه القضية، ولم يُدلِّل على مذهبه هذا بأية تجارب شخصية، أو مقاييس مخبرية وأرى أنّ خفة الحركة أو ثقلها قد يكون ناتجاً عن بيئة الحركة الصوتية، وتفاعُلها مع الأصوات السابقة والتالية لها.

وظيفة الحركات الصوتية:

أدرك العلماءف العربُ القدماء وظيفةً الحركات القصيرة الصوتية، فهي زوائد "يلحقن الحرف ليوصل الى التكلم به"[3]. ولم يعدوها من الحروف الأصول، رغم وظيفتها الدلالية في الكلام. وقد يكون هذا عائداً الى عدم وجود رموز كتابية لها في عهد مبكِّر؛ فالرموز التي وُضعت للحركات جاءت في وقت متأخر نسبياً، فقد اشتق الخليل ابن أحمد رموز الحركات القصيرة: الفتحة، الكسرة، والضمة، من الحركات الطويلة: الألف والياء، والواو،

---

(١) كتاب سيبويه، ٤/٣٧، ١٦٧.

(٢) إحياء النحو، ص ٥٠.

(٣) كتاب سيبويه، ٤/٢٤١.

وهي "أكثر دقةً وأوضح ابهاماً من رموز (النقط) التي وضعها أبو الأسود الدؤلي من قبل"[1]. واشتقاقُ الخليل رموز الحركات القصيرة من الحركات الطويلة إشارةٌ واضحةٌ إلى قوة الصلة التي تربطهما معاً. وتُعدُّ الحركات القصيرة فونيمات مستقلة، وتغيُّرها يغير معنى الكلمة، أمثلة:

قَتَلَ : قَتْل (حُذفت الحركة القصيرة، وهي الفتحة التي تلي التاء)، فتغيَّر معنى الكلمة.

فَرِحَ: فَرَح (تغيَّرت الحركة القصيرة التي تلي الراء فتغيَّر معنى الكلمة).

دَرَسَ: دُرِس (تغيرت الحركة التي تلي الدال، والحركة التي الراء) فتغيَّر معنى الكلمة لذلك.

من سمات الحركات القصيرة وعلاقتها بالمعنى:

١ . من سمات الحركات القصيرة المَطْل:

وهي مد الصوت بالحركة القصيرة. يقول ابن جني: "الحركات عند التذكُّر يُمطلْن حتى يفين[2] حروفاً. فإذا صِرْنها جرَيْنَ مجرى الحروف المبتدأة توامَّ، فيُمْطَلْن حينئذ كما تُمطل الحروف. وذلك قولهم عند التذكر مع الفتحة في قمت: قُمتا، أي قمت يوم الجمعة ونحو ذلك ومع الكسرة: أنْتي، أي أنتِ

---

(١) في الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب المطلبي، ص ٧٣.

(٢) يفين من فاء: صارَ، وهي فعل ناقص.

عاقلة، ونحو ذلك، ومع الضمة: قمتو، في قمتُ الى زيد، ونحو ذلك[١].

والمطل لايغير المعنى لأنه ليس فوينما مستقلاً، وليس له رمزٌ كتابي خاص، في حين أن مد الحركة في مثل: قَتَل، قاتَلَ، وقُتلَ قوتلَ، وَسرْ، سيرَ (صباحاً)، يؤدي الى تغيير المعنى، لأن المدّ نتج عنه فونيم مستقل، له رمز كتابي خاص.

٢. ومن سمات الحركات الصوتية: تخفيها أو اختلاسها:

وهو ما يُسمى بالروم، وهو "عبارة عن النطق ببعض الحركة . . . أوتضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها[٢]. وهذه الظاهرة الصوتية ليس لها أثر في تغيير المعنى، وليس لها رمزٌ كتابي خاص.

٣. حذف الحركات (أحياناً):

من طبيعة اللغة النزوع الى تخفيف العبء الواقع على أعضاء النطق، لذا عمدتْ الى حذف الحركات أحيانا؛ فقد تُحذف الحركة "بين حرفين متماثلين أو متشابهين فيُدغمان، وهذا ما سماه القدماء الادغام الكبير، ويقع أحياناً في وسط كلمة واحدة، وأحياناً بين كلمتين[٣]، مثل: (تأمنّا)[٤]، بدل تأمنُنا، إنّا بدل إنَّنا. نعمّا نَعْمَ ما، من المتماثلين. ومن الشبيهين (يذَّكَّر) بدل يتذكَّر.

---

(١) الخصائص، لانب جني، ٣/١٢٩-١٣٠.

(٢) النشر في القراءات العشر، ٢/١٢١.

(٣) التطور النحوي، برجشتراسر، ص ٦٨.

(٤) سورة يوسف، من الآية (١٢).

عـدد الحـركـات الـقـصـيرة:

عَدَدُ الحركات القصيرة التي لها فوينمات مستقلة ثلاثٌ، كما يقول اللغويون العرب القدماء والمحدثون، وهي: الفتحة، الكسرة، الضمة، وأما برجشتراسر، فيقول إن الحركات المقصورة (كما يبدو له)، "كانت في الأصل اثنتين لاثلاث؛ يعني حركةً كاملةً هي الفتحة، وحركةً ناقصةً احياناً تُشبه الكسرة، وأحياناً تُشبه الضمة[1]. ويحاول برجشتراسر إثباتَ هذا الافتراض بوجود آثار كثيرة تدل على ان الكسرة والضَّمة لافرق بينهما في الأصل معنىً ووظيفةً، منها أنَّ كثيراً من الأفعال ماضيها إما فَعِل أو فَعُل، وقد يوجد فرق بين الصيغتين، لكنه قليل الأهمية بالنسبة الى الفَرق بين فَعَل وفَعِل، أو بين فَعَل وَفَعُل[2].

ويُعزِّزُ برجشتراسر افتراضه هذا بأنَّ صوت الضمة وصوَت الكسرة تابع للحروف الصامتة، السابقة والتالية لهما في الكلمة[3].

ويبدو أنَّ برجشتراسر قد غالى في افتراضه هذا، فقد ورد في اللغة العربية افعال كثيرة على وزن (فَعُل)، ولم تُسمَعْ هذه الأفعال قطّ على وزن فَعِل، مثل: كرُم، عَظُم، حَسُن، وكذلك ورد كثيرمن الأفعال على وزن (فَعِلَ)، ولم تُسمع على وزن (فَعُلَ)، مثل: سَمِعَ، حَفِظَ، رَكِبَ... الخ.

---

(١) التطور النحوي للغة العربية، ص ٥٤.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٥٤.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٥٦.

وتقارب المعنى بين صيغتي فَعل وفَعُل -أحياناً، لايدل على أنهما من أصل واحد؛ فتقارُب المعنى ناتج عن تَشابُه أصواتهما. ووُرود بعضِ الأفعال في العربية ماضيها إما (فَعِل أو فَعُل) قد يعودُ الى تعدُّد اللهجات في اللغة العربية، ولهذه الظاهرة الصوتية (تعدد اللهجات)، أسبابٌ وصفاتٌ عديدة لامجالَ لها في هذا البحث[1].

واحتجاج برجشتراسر بأنهَ صوت الضمة وصوت الكسرة تابع للحروف، السابقة والتالية لهما في الكلمة، لاينهضُ دليلاً على صحة افتراضه السابق؛ فصوتُ الضمة وصوت الكسرة لابُد لهما من التأثُّر والتأثير في الأصوات السابقةِ والتالية لهما، وهذه ظاهرةٌ صوتيةٌ معروفةٌ.

الفتحة القصيرة

خفة الفتحة في النطق:

عدّ العلماء العرب القدماء الفتحة أسلسَ مخرجاً، وأقلَّ مرونةً على اللسان والشفتين من الضمة والكسرة؛ فالفتحةُ تخرج من خرق الفم بلا كُلفة . . . ويُسْتثْقل الضمُّ والكسرُ لأن لمخرجيْهما مؤونةً على اللسان والشفتين[2].

---

(١) انظر: الاصوات اللغوية، لإبراهيم انيس ص ٣٠، ايضاً عوامل التوطور اللغوي، د. احمد عبد الرحمن حماد، ص ١٦٦-١٦٩.

(٢) معاني القرآن، للفراء، ١٣/٢، انظر أيضاً ما ذهبنا إليه في هذه القضية، ص ١٨٦.

الفتحة المرققة والمفخمة وأثرهما في المعنى:

تكون الفتحة مرققة إذا تلتْ حرفاً من الحروف المُستفلة[1]، ومُخمةً إذا تلتْ حرفاً من الحروف المُتسْتَعلية[2]. ويتضح لنا ذلك إذا وازنّا بين الصور النطقية التالية:

دَرْب، ضَرْب

سَبَرَ[3]، صَبَرَ

كَدَر، قَدَر

وهذه الصورةُ النطقية تُعدُّ تشابُهاً صوتياً للحروف الصامتة التي تلتها، نتيجةً للتفاعل الصوتي بينهما، ولا أثرَ لها في تغيير معنى الكلمة.

الفتحة المُمالة:

من صور الفتحة النطقية الفتحةُ الممالة، وهي الفتحة المشوبة بالكسرة، وقد عدَّها ابن جني أصل إمالة الألف التالية لها وذلك أنَّ الإمالة إنما هي أن تنحوَ بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف التي بعدها نحو الياء، لضرب من تجانس الصوت، فكما أن الحركة ليست فتحة مَحْضة، فكذلك الألف ألتي

---

(١) انظر، الحروف المستفلة، ص ١٠٧ من هذا البحث.

(٢) انظر الحروف المستعلية، ص ٥٦، ص ٦١ من هذا البحث، (الحاشية).

(٣) سَبَره: حَزَره. يقال: سبر الجرح، إذا قاس غَوْره بالمسبار (انظر: المعجم الوسيط، مادة سبر).

بعدها ليست ألفاً محضةً وهذا هو القياس، لأن الألف تابعةٌ للفتحة، فكما أنّ الفتحة مشوبَة، فكذلك الألف اللاحقة لها[1]. وذلك نحو الفتحة المشوبة بالكسرة في كلمة (عالِم)[2].

ويُعزِّزُ ابن جنّي رأيَه هذا (أي أن أصلَ الإمالة الفتحةُ المشوبة بالكسر) بجواز إمالة الفتحة وإن لم تتْبعها ألف، كقولهم: "من عَمر . . . وقُرِئ (رأى القمر بازغاً)[3]. وأمّا الألف المُمالة نحو الياء فلا بد أنْ تسبَقها فتحةٌ ممالةٌ نَحو الكسرة (وهذا ما يُفهم من نص ابن جني السابق).

الفتحة المشوبة بالضم:

يُفهم من كلام ابن جني أيضاً أنّ الفتحة المشوبة بالضمة نحو: "الصلاُة والزكُاة، وغزُا، وقُام، وصُاغ"، هي أصل تفخيم الألف التالية لها، وذلك لضربٍ من تجانسِ الصوت[4].

وأرى أنّ الصوت المشوبَ بالكسر في المثال الذي أورده ابن جني (عالِم)، هو الفتحة الطويلة (الألف)، وكذلك الصوت المشوب بالضم في

(١) سر صناعة الاعراب، ١/٥٨-٥٩.

(٢) الخصائص، ٣/١٢٠-١٢١.

(٣) سر صناعة الاعراب، ١/٥٩، من الآية ٧٧/الانعام، وهي قراءة خلف عن يحيى بن أدم عن أبي بكر عن عاصم (انظر:كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٦١.

(٤) المصدران أنفسهما، ١/٥٨-٥٩، ٣/١٢٠-١٢١.

الألفاظ التي أوردها ابن جني: (الصّلاة، الزكاة، غزا، قام صاغ)، هو الفتحة الطويلة (الألف)، وليس الفتحة القصيرة؛ إذ لا وجود فعليّاً (نُطقياً) للفتحة القصيرة بعد حروف: العين، واللام، والكاف، والزاء، والقاف، والصاد، في الألفاظ التي أودها ابن جني. وذكرهُ للفتحة في هذه الألفاظ، عائدٌ -كما أرى- لنظرته للغة (في هذا الموقف) من زاوةٍ معيارية (مُقنَّنة)، لا من زاويةٍ صوتيةٍ (نُطْقيةٍ فعلية).

أثر صور الفتحة النطقية في المعنى:

لا أثر للفتحة الممالة نحو الكسرة، ولا للفتحة المشوبة بالضمة في تغيير معنى الكلمة؛ فهما صورتان نطقيتان من الفتحة، ولاتشكلان فونيماً صوتيا مستقلاً، ولس لهما رمزٌ كتابيٌّ خاص...

ظاهرة إمالة ما قبل تاء التأنيث في آخر الاسم[1] في الوقف، وهي التاء التي تُنطقُ هاءً:

جاء في كتاب "النشر في القراءات العشر" لابن الجزْري في شأن هذه الظاهرة الصوتية ما يلي:

"قيل للكسائي: إنك تُميل ما قبلَ هاء التأنيث. فقال: هذا طباع العربية. قال الحافظ أبو عمرو الداني: يعني بذلك أنّ الأمالة هنا لغةُ أهل

(١) لايكون قبل تاءالتأنيث في آخر الاسم من الحركات القصيرة الا الفتحة.

الكوفة، وهي باقيةٌ فيهم الى الآن، وهم بقيةُ أبناءِ العرب[1].

وقد قُمْتُ بدراسة هذه الظاهرة الصوتية، دراسةً ميدانيةً في لهجة أهالي بلدة عرابة[2]، وتوصلت إلى النتائج الصوتية التالية[3]:

أولاً: الإمالة[4] في الأصوات المتقدمة في المخرج:

أ- الأصوات الشفوية:

الباء: عرّابة، لُعبة، طابة، دابّة.

الميم: مقلِمة، رخامة، قامة، مفرمة.

ب- أصوات أسنانية - شفوية:

الفاء: شرفة، ملفوفة، مصفوفة، ملحفة، عفيفة.

جـ- أصوات أسنانية:

الثاء: بعثة، عثّة، لثّة، مبثوثة.

الذّال: لذيذة، فذّة، لذّة.

---

(١) النشر في القراءات العشر، ٢/٨٢.

(٢) بلدةعرابة: تقع شمال فلسطين، قرب مدينة جنين، وهي مسقط رأس كاتب هذا البحث.

(٣) أُجريت هذه الدراسة الميدانية في صيف عام ١٩٨٤م.

(٤) (الحرف ا ألف قصيرة تحت الحرف الواقع قبل التاء المربوطة (التي تلفظ تاءً) = إمالة الفتحة القصيرة.

* **ملحوظة:** ولاتُمال الفتحة التي تلي صوتَ الظاء، رغم أنّه من الأصوات الأسنانية المتقدمة في المخرج، هو كما نعلم صوتٌ مطبَق[1]. مثل:

غليظة، فظّة، عظة، قُرَيضة.

د- أصوات أسنانية - لثويّة:

التاء: نكتة، توتة، فتّة.

الدّال: قلادة، سيّدة، معدة، قِردة، وردة.

اللام: جليلة، سلّة، منقلة، قبيلة، عائلة.

النون: قُرنة، جنّة، مجنونة، ليمونة، حنّونة.

* **ملحوظة:** لاتُمال الفتحة التي تلي الضاد والطّاء، رغم كونهما من الأصوات الاسنانية اللثوية المتقدمة في المخرج، وهما صوتان مطبقان، يقولون: فضّة، مريضة، نبضة، قرْطة[2]، قطّة، بطّة، خطّة، خريطة؛ وذلك بالفتح، دون إمالة.

هـ- أصوات لثويّة:

الزاي: حمزة، خرزة، وزّة، هزّة.

السين: مدرسة، مكنسة، مرسة[3].

---

(١) انظر: الأصوات المطبقة، ص ٣٠ من هذا البحث.

(٢) كتلة صلبة من الخشب يوضع عليها اللحم عند تقطيعه وتكسير العظام.

(٣) قطعة من الحبل المصنوع من الليف (حسب مفهوم أهل الريف

* **ملحوظة:** لاتُمال الفتحة التي تلي صوت الصاد، رغم أنه صوت لَثوي، متقدم وهو من الأصوات المطبقة. يقولون: مصّاصة، رَصاصَة، حَفْصَة، قَرْصَة[1]. (بالفتح دون إمالة).

وأما صوت الراء[2]: وهو صوتٌ لثويٌّ متقدمُ المخرج، فحركته تُمال في لهة أهالي بلدة عرابة - غالباً- إذا تلا الياء الممدودة، وذلك للماثلة الصوتية بين الياء والفتحة المُمالة نحو الكسرة، كما أرى، فهم يقولون: خميرة، صغيرة، كبيرة، حقيرة؛ بالإمالة. ولاتُمال حركتُه إذا تلا الواوَ الممدودة؛ لعدم المجانسة الصوتية بين الواو والفتحة الممالة نحو الكسرة، فهم يقولون: عصفورة، مسرورة، مجبورة، بالفتح دون إمالة. وكذلك لاتُمال الفتحة القصيرة التي تليه إذا لم يسبقْه مدٌّ يقولون: شجرة، صخرة، مسطرة؛ (بالفتح دون إمالة).

و- أصوات لثوية - حنكية:

الجيم: دجاجة، حاجة، فَجّة، رَجّة.

الشين: فراشة، هشَّة، قَشّة.

ز- أصوات وسط الحنك:

الياء: رَمية، حيَّة، رسميّة.

الفلسطيني).

(١) تُقال لعضة الثعبان ولدغة الحشرة (في الريف الفلسطيني).

(٢) الراء صوت مكرر، وتكريره يمدّ قوةً تُعيق إمالة الفتحة.

ح- أصوات أقصى الحنك:

الكاف: سمكة، حركة، فريكة.

الواو: ثروة، فروة، رخوة، بداوة.

* **ملحوظة:** ولاتُمال الفتحة التي تلي صوتي: الخاء، والغين، وهما صوتان مطبقان يقولن:

- فرخَة؛ نفخة، صرخَة، زخَّة[1]، جخَّة[2].

- فارغة، بالغة، بليغة؛ (وذلك بالفتح دون إمالة).

ثانياً: عدم إمالة الفتحة التي تلي الأصوات ذات المخارج المتأخرة:

أ- أصوات لهويّة:

القاف: يقولون فرقة، بُرقَة[3]، دقيقة، غريقة؛ (بالفتح دون إمالة).

ب- أصوات حلقية:

العين: جرعَة، مَزْرعة، ولاّعة، صرْعة، صريعة؛ (بالفتح دون إمالة).

---

(١) الدفعة الشديدة من المطر (حسب مفهوم أهل الريف الفلسطيني).

(٢) التيه والعُجْب: (حسب مفهوم أهل الريف الفلسطيني).

(٣) اسم بلدة، شمال فلسطين.

الحاء: فلاّحة، فرْحة، بَلَحَة، جريحة، مِسْبحة، مروحَة؛ (بالفتح دون إمالة).

جـ- أصوات حنجرية:

الهمزة: جُرأَةَ، مروءة، قراءَة، مَشيئة (بالفتح دوم إمالة).

الهاء: نُزهَة، كريهة، وجيهة، بُرْهة، (بالفتح دون إمالة).

وهذه الظاهرة الصوتية (إمالة فتحة ما قبل تاء التأنيث في الوقف) لا أثر لها في تغيير المعنى، فالفتحة المُمالة صورة نطقية من الفتحة المنصوبة (غير الممالة) ولاتكوِّن فونيما صوتياً مستقلاً.

الكسرة القصيرة

تعريفُ الكسرة القصيرة:

الكسرةُ القصيرة صوتٌ طليق أمامي يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين مع تكتُّل مُقدَّم اللسان وارتفاعه الى أقصى درجة ممكنة نحو مقدم الفم (الغار)، ولكن من غير أن يُحدث هذا الارتفاع انسداداً للنَّفس أو تعويقاً له، وتتراجعُ الشفتان الى الخلف متَخذةً وضع الانكسار، وتنفرجان أضيق ما يكون الانفراج. ويتخذ الهواء مجراه منساباً من الفم وحده في حين ينسدُّ مجرى الأنف انسداداً تاماً[1].

---

(١) عن كتاب المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، لمحمد الأنطاكي، بتصرف، ١/٣٥.

ثِقَلُ الكسرة في النطق:

أشار اللغويون العرب القدامى الى ثقَل الكسرة في النطق، يقول الفرّاء إن لمخرج الكسرة مؤونةً على اللسان والشفتين، يُمال أحدُ الشدقين الى الكسرة فترى ذلك ثقيلاً[1]. ويُلْحَظُ أنّ اللغويين العرب القدامى اعتمدوا في وصف مخارج الأصوات والتمييز بينها، ملاحظة أعضاء النطق البادية للعين المجردة حسب وقَعَ ذلك فقد توصلوا الى نتائج لاتختلف كثيراً عما توصل إليه المحدثون. وقد دعا ابن سينا (العالم اللغوي الطبيب، توفي عام ٤٢٨هـ) الى تشريح أعضاء النطق، للوقوف على مخارج الأصوات، والتمييز بينها بدقة[2].

الكسرة المشوبة بالضمة وأثرها في المعنى:

ذكر ابن جني "الكسرة المشوبة بالضمة، نحو قُيل، وبُيع، وغُيض، وسيُق[3]. وأرى أنَّ الصوت المشوب بالضم هو الكسرة الطويلة (الياء)، وليس الكسرة القصيرة؛ إذ لا وجودَ فعليّاً (نطقيّاً) للكسرة القصيرة بعد حروف: القاف، الباء، الغين، السين، في الألفاظ التي أوردها ابن جني. وذكرهُ

---

(١) معاني القرآن، ١٣/٢، أنظر رأينا في خفة الحركات وثقلها ص ١١٧ من هذا البحث.

(٢) انظر: ص ١٨ من هذا البحث.

(٣) سر صناعة الاعراب، ٥٩/١، أيضاً: الخصائص، ١٢١/٣.

للكسرة القصيرة في هذه الألفاظ، عائد -كما أرى- لنظرته للغة (في هذا الموقف) من زاوية معيارية (مُقَنَّنة)، لا من زاوية صوتية (نُطقية فعلية). وهذا التحول الصوتي لايُغيِّر المعنى؛ لأنَّه صورةٌ نطقيةٌ من الياء، ولايُشكِّل فونيماً مستقلاً، وليس له رمز كتابي خاص.

الضمة القصيرة

تعريف الضمة القصيرة:

الضمة القصيرة "صوت طليق خلفي يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين، مع تكتل مؤخر اللسان وارتفاعه الى أقصى درجة ممكنة نحو مؤخر الحنك الأعلى، من غير أنْ يُحدثَ هذا الارتفاع انسداداً للنَّفس أو تعويقاً له . . . ووضع الشفتين مع الضمة وضع استدارة كاملة، مع بقاء فرجه بينهما تسمح بمرور الهواء بحرية تامة دون احتكاك بالشفتين[1]".

ثقل الضمة في النطق:

أشار الفرّاء إلى أن للضمة "مؤونة على اللسان والشفتين"، حيث تنضم الشفتان، "فترى ذلك ثقيلاً"[2].

---

(١) المحيط، لمحمد الأنطاكي، ٣٦/١.

(٢) معاني القرآن، للفراء، ١٣/٢، انظر رأينا في خفة الحركات وثقلها، ص ١٨٦ من هذا البحث، ورأينا في وصف العلماء العرب القدامى مخارج الأصوات ص ٧١ من هذا البحث.

الضمة المشوبة بالكسرة وأثرُها في المعنى:

يقول ابن جني إنَّ الضمة قد تُشاب بالكسرة نحو: "مررت بمذعور، وهذا في بور" فهذه الحركة "ليست ضمة محضة، ولاكسرة مُرْسَلة"[1]. وَأرى أنَّ الصوتَ المشوب بالكسرة هي الضمة الطويلة، وليست القصيرة، كما يقول ابن جني، إذ إنَّ صوت العين في (مَذْعور)، وصوت الباء في (بور) تلاهما صوت ضم طويل واحد لاضمّ قصير، وضم طويل[2].

وإمالةُ الضم نحو الكسر لايغير معنى الكلمة؛ لأن ذلك لايُشكِّل فونيماً صوتياً مستقلاً.

---

(1) سر صناعة الاعراب، ١/٥٨-٥٩.

(2) انظر: ص ١٩٢-١٩٣ من هذا البحث.

خاتمة

أعرض في خاتمة هذه الدراسة أهم ما توصل إليه البحثُ من نتائج في القضايا الصوتية التي وردت فيه، باختصار، سائلاً المولى عزّ وجل، التوفيق والسداد.

بذل اللغويون العرب القدامى والقُرّاء، جهوداً جبارة في الدراسات الصوتية، وكان حاديهم في هذه الدراسة حرصهم على إجادة تلاوة القرآن الكريم.

اتضح في هذه الدراسة أنَّ تعريف اللغويين العرب القدماء، للغة يكاد يتفق وتعريف المحدثين لها.

أدرك اللغويون العرب القدماء أهمية المنهج التركيبي في الدراسة اللغوية، وقد أكدّ السكاكي معرفة هذا المنهج العلمي نظريةً وتطبيقاً، فبدأ بالأصوات، فالصرف، فالنحو وبرَّر ذلك. ولكنهم في دراستهم الصوتية انتهجوا الطريقة التحليلية.

اعتمد اللغويون العرب القدماء في دراستهم للأصوات على علم الأصوات الفسيولوجي، فقد عرفوا أعضاء النطق، ووصفوها بدقة، وذكروا دورها في إنتاج الأصوات ابتداءً من الرئة حتى الشفتين، وقد دعا الرازي الى تشريح أعضاء النطق لمعرفة وظيفتها في نطق الأصوات بدقة.

أدرك اللغويون العرب القدماء، الفرق بين ما يُعرفُ الآن بعلم الفوناتيك، وما يُعرف بعلم الفونولجيا، وهذا ما يُفهم من كلام ابن جني في سر الصناعة (١/ ٤).

استخدام القدماء مصطلح (الحرف)، وعنوا به حرفَ الصوت أي حدهُ ومقطعهُ، وهو ما يتميز به عن صوت آخر، وهذا المصطلح أكثر دقة ودلالة وتخصُّصاً من مصطلح (صوت)، فمصطلح الصوت عام، وأما (الحرف) فهو خاص.

أدرك القدماء الخصائص الصوتية، والخصائص الصرفية التشكيلية للواو والياء المدّيتين وغير المدّيتين، إلاّ أنهم لم يضعوا للواو والياء الصائتتين والصامتتين إلا رمزاً خطّياً واحداً لكلٍّ منهما. وأرى أنه من المستحسن أن يُخصَّص رمزٌ خطي مستقل لكلٍّ من الواو الصامتة والواو الصائتة، وكذلك لكلّ من الياء الصامتة والصائتة؛ لتحديد خصائص كلِّ صوتٍ من هذه الأصوات وتمييزه من غيره.

يتفق اللغويون المحدثون وعلماء اللغة العربية القدماء على تحديد الأصوات الصامتة المجهورة والمهموسة إلاّ في أصوات: الطاء والقاف والهمزة؛ إذ حكم القدماء على هذه الأصوات بالجهر، في حين يقول المحدثون إنَّ الطاء والقاف مهموسان، والهمزة لامجهورة والمهموسة. وقد ميز القدماء الأصوات المجهورة من المهموسة بجريان النفس أو عدمه، وتحديد موضع الصوت (مخرجه)، والمحدثون يميزون بين الطائفتين بذبَذبة الأوتار الصوتية أو عدم ذبذبتها، ولم يُشِر القدماءُ الى أثر الأوتار الصوتية في جهر الصوت أو همسه، لدعم معرفتهم إياها.

يخالف اللغويون المحدثون القدماء في صفة صوتي (الضاد والجيم)، إذْ عدَّ القدماء صوت الجيم شديداً، وصوتَ الضاد رخوا. والمحدثون يَعُدون الجيم (الفصيحة)، مزدوجة من الشدة والرخاوة، والضاد (الحديثة) صوتاً

شديداً.

مواطنُ الاتفاق بين المحدثين والقدماء على مخارج الأصوات تبدو أكثر من مواطن الاختلاف بينهما.

الأصوات الفصيحة المتحولةُ هي: الجيم، الضاد، الطاء، القاف. والتحولُ الصوتي الذي أصابها هو تحولٌ تاريخيّ، مُطلق، عام. وهذا التحول لايُؤثرفي تغيير الدلالة المُعجمية للكلمة. كما بيَّنا في البحث. وقد يكون لهذه التغيرات الصوتية جرْسٌ موحٍ مشارك في إبراز صورة جمالية صوتية توثر في نَفْس السامع ويدركها ذاتياً، ويفسرها حسب ذوقه الفرديّ، ولكّن دلالة اللفظة المعجمية والاجتماعية لايمسها تغيير.

التحول الصوتي (الابدال الصوتي)، يكون في الأصوات المتحدة المخارج، أو المتقاربة في مخارجها.

التبدلات الصوتية في اللهجات الدارجة (العامية) تؤدي الى تغيير معنى الكلمة إذا كان لكلٍّ من الصوتين المتبادلين فونيم مستقل (وحدة صوتية مستقلة)، وفي حالة عدم وجود فونيمٍ مستقل للصوت البديل فإنَّ معنى الكلمة لايتغير.

كثير من التبدلات الصوتية في اللهجات الدارجة (العامية) تعود أصولها الى لهجات (لغات) عربية قديمة، وقد وضحتُ هذه الظاهرة الصوتية في الفصل الثالث من الباب الأولً.

الأصوات العربية التي طرأ عليها تحول في اللهجات الدارجة (العامية) هي: الهمزة، الثاء، الجيم، الذال، السين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء،

العين، الغين، القاف، الكاف.

نظر اللغويون القدماء الى الأصوات الصائتة الطويلة (الألف، والواو، والياء) من زاويتين:

أ- من زاوية تشكيلية (صرفية)، افتراضية من جهة، وهذا يقابل ما يُسمى الآن (Phonology).

ب- من زاوية صوتية محضة، من جهة اخرى، وهذا يقابل ما يُسمى الآن (Phonetics).

وحدد القدماء بدقة مفاهيمَ مصطلحات المد واللين، واللين (حسب)، والعلة، ويُفهم من تعريفهم لهذه المصطلحات أَنهم أدركوا أنَّ المصطلحين الأول والثاني صوتيان، وأما الثالث فهو صرفي تشكيلي.

وظيفة الصوائت (الطويلة والقصيرة)، الربط بين الأصوات الصامتة في الكلام. وجميعها فونيمات (وحدات صوتية مستقلة)؛ إذ يؤدي تبديل صائت بآخر الى تغيير معنى الكلمة.

طبيعة الألف الصوتية تختلف عن طبيعة الواو والياء، فهي لاتخرج عن المد والواو والياء يخرجان عن المد إذا تحركتا، أوسبق أحدهما حركةٌ من غير جنسها، وتسميان حينئذ حرفي لين، لاحرفي مد ولين، أو أنصاف سواكن، كما يسميها المحدثون.

الصوتُ الصامتُ المهموس الساكن يحتفظُ بخواصه الصوتية أكثر مما إذا كان متحركاً، فالحركة تُقلقُ الصوت عن موضعه وتُكْسبُه شيئاً من صفة الجهر (والحركات دائماً مجهورة). وعلى هذه السمة الصَوتية اعتمدتُ في

تعليلي لبعض التحولات الصوتية الناتجة عن تبديل صفة من صفات الصوت كقول القدماء (يصْدُر)، بالزاي المفخمة، وصَدَر بالصاد المهموسة، وكسماعنا، في الوقت الحاضر في مصر، كلمةَ أُسبوع (أزبوع) بالزاي، وكلمةَ (سَبْعة) بالسين المهموسة. وقد وَرَدَ بحثُ هذ القضية بالتفصيل في هذه الدراسة. وعلى هذا الأساس نستطيع تعليلَ سماعنا كلمات، مثل: أصغَر وأكْبر، بجهر الصاد والكاف، في حين نسمع الصادَ والكافَ في (صغير)، وكبير، مهموسين. وكذلك فإن الصاد تُلفَظ مهموسةً في كلمات، مثل: أصفر، صُفْر، وصفير، سواء تَلَتْها حركةٌ أم سُكِّنَتْ؛ لأنه تلاها صوتٌ مهموس.

للألف والواو والياء صُوَر نطقية متعددة، وهذه الصور ألوفونات من فوينمات الألف والواو والياء، وهي لاتؤثر في المعنى المعجمي أو الدلالة الاجتماعية؛ وإنما قد توحي بجرس موسيقي خاص يفسره السامع ذاتياً. والتحول الصوتي في هذه الصور النطقية تركيبي حر، سَرعان ما يزول بتغير بيئته الصوتية.

أوْلَى اللغويون العرب القدماء، والقُرّاء، المدَّ بنوعيه: اللفظي والمعنوي، عنايةً فائقة، لعلاقة هذه الظاهرة اللغوية بتلاوة القرآن الكريم.

وللمد اللفظي وظيفةٌ صوتية، وهي تقوية الصوت، وإيضاحُه، وإبراز ما قد يخفَى منه، ووظيفةٌ فسيولوجية- نفسية؛ وهي تهيئة أعضاء النطق للانتقال من نطق صوت المد (الضعيف)، الى الهمزة، أو الحرف المشدّد (القوي). ولا أثرَ للمد اللفظي في تغيير المعنى؛ فهو لايشكل فونيما مستقلاً.

وللمد المعنوي وظيفةٌ معنويةٌ إيحائية؛ فقد يوحي بالمبالغة في النّفي،

أويوحي بالانفعال في أساليب: الدّعاء، والاستغاثة، والنّدبة.

الحركات القصيرة: الفتحة والكسرة والضمة، لها صور نطقية متعددة، وهذه الصور النطقية لاتؤثر في تغيير المعنى؛ لأنها لاتُشكِّل فونيمات مستقلة، وليس لها رمز كتابي خاص. وهذه الصور النطقية تتكون -في الغالب- نتيجة التفاعل الصوتي بين الحركة والأصوات الصامتة السابقة أو التالية لها، ويُعد هذا التحول الصوتي تحولاً تركيبياً مؤقتاً.

في دراسة ميدانية لظاهرة إمالة الفتحة التي تسبق تاء التأنيث في آخر الاسم في الوقف، أجريتُها على لهجة أهالي بلدة عرابة (شمال فلسطين) في صيف عام ١٩٨٤م. توصلت الى النتائج التالية:

أولاً: إمالة الفتحة التي تلي الأصوات المتقدمة والمتوسطة في المخرج وهي:

أ- أصوات شفوية.

ب- أصوات أسنانية.

جـ- أصوات أسنانية -لثوية.

د- أصوات لثوية.

هـ- أصوات لثوية -حنكية.

و- أصوات وسط الحنك.

ز- أصوات أقصى الحنك.

ولا تُمال الفتحةُ التي تلي أصواتَ الإطباق والاستعلاء لأنها أصواتٌ مُخَّمة، والإمالة لا تجانسها صوتياً، وإن كانت متقدمة المخارج.

ثانياً: عدم إمالة الفتحة التي تلي الأصوات ذات المخارج المتأخرة، وهي:

أ- أصوات لَهوية.

ب- أصوات حَلْقية.

جـ- أصوات حُنجرية.

والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع

١ . القرآن الكريم .

٢ . أبحاث في اللغة العربية- د. داود عبده- ١٩٧٣م. مكتبة لبنان- بيروت .

٣ . الإبدال- أبو يوسف يعقوب بن السكيت، تحقيق: د. حسين محمد شرف الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- القاهرة- ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٨م .

٤ . الإبدال- لأبي الطيب اللغوي، تحقيق: عز الدين التنوخي- دمشق= ١٣٧٩هـ= ١٩٦٠م .

٥ . إتحاف فضلاء البشر في القرآت الأربع عشر: تأليف: البنّاء الدمياطي تحقيق وتصحيح: علي محمد الضبّاع. (دون تاريخ) .

٦ . إحياء النحو- إبراهيم مصطفى- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧م .

٧ . أسس علم اللغة، تأليف: ماريو پاي/ ترجمة وتعليق/ د. احمد مختار عمر، الطبعة الثالثة- عالم الكتب- القاهرة، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م .

٨ . الأصوات ومخارج الحروف- ثلاث رسائل- تحقيق وشرح: فؤاد حنا ترزي- مطبعة دار الكتب .

٩ . الأصول في النحو- لأبي بكر بن السراج- تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي- مؤسسة الرسالة: بيروت- شارع سوريا .

١٠ . الأصوات اللغوية- د. ابراهيم أنيس، الطبعة الخامسة- مكتبة الأنجلو المصرية- ١٩٧٩م .

١١ . الاعتماد في نظائر الظاء والضاد- لابن مالك- تحقيق : د . حاتم صالح الضامن الطبعة الثانية : ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م .

١٢ . البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي- الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة- الرياض-السعودية (دون تحقيق ، دون تاريخ) .

١٣ . التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، د . سلمان حسن العاني- ترجمة : د . ياسر الملاح ، الطبعة الثانية : ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م . النادي الأدبي الثقافي - جدة- السعودية .

١٤ . التطور اللغوي التاريخي ، د . إبراهيم السامرائي ، الطبعة الثانية - ١٤٠١هـ= ١٩٨١م ، دار الأندلس - بيروت - لبنان .

١٥ . التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، د . رمضان عبد التواب ، الطبعة الأولى : ١٤٠٤هـ= ١٩٧٣م . مكتبة الخانجي- القاهرة .

١٦ . التعريف بعلم اللغة ، تأليف : دافيد كريستل ، ترجمة : د . حلمي خليل ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م- الهيئة العامة المصرية للكتاب .

١٧ . التفسير الكبير ، للإمام الفخر الرازي- الطبعة الثالثة- دار إحياء التراث العربي- بيروت ، (دون تاريخ ، دون تحقيق) .

١٨ . التطور النحوي للغة العربية ، محاضرات القاها في الجامعة المصرية سنة ١٩٢٩م المستشرق الألماني برجشتراسر ، أخرجه وصححه وعلق عليه : د . رمضان عبد التواب - ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م ، مكتبة الخانجي بالقاهرة .

١٩ . تهذيب اللغة العربية ، لأبي منصور الأزهري ، تحقيق : عبد السلام هارون- دار القومية العربية للطباعة ، ١٣٨٤= ١٩٦٤م .

٢٠ . جَرْس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دارالرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.

٢١ . جمهرة اللغة، لابن دُريد- حيدر آباد- الهند، ١٣٤٥هـ.

٢٢ . الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الدى للطباعة والنشر- بيروت- لبنان/ الطبعة الثانية: ١٣٧٢هـ= ١٩٥٢م.

٢٣ . دروس في علم أصوات العربية، لجان كانتينو. نقله إلى العربية: صالح القرمادي، الجامعة التونسية- ١٩٦٦م.

٢٤ . دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، الطبعة الأولى- توزيع: عالم اكتب، ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة، ١٣٩٦هـ= ١٩٧٦م.

٢٥ . دراسات في علم أصوات العربية، د. داود عبده، نشر وتوزيع: مؤسسة الصباح- الصفاة- الكويت (دون تاريخ).

٢٦ . دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، الطبعة الثانية: ١٩٦٣م، مكتبة الأنجلو المصرية.

٢٧ . رسائل اخوان الصفاء (القرن الرابع)، دار صادر- بيروت (دون تاريخ، دون تحقيق).

٢٨ . رسالة أسباب حدوث الحروف، لابن سينا، تحقيق: محمد حسّان الطيّان ويحيى مير علم، الطبعة الأولى، دار الفكر- دمشق- سوريا، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

٢٩ . الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي بن أبي طالب- تحقيق: د. احمد حسن فرحات، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م. دار عمار- عمان- الاردن.

٣٠. سر صناعة الاعراب، ج١ لابن جني تحقيق: مصطفى السقا (وآخرين)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر/ الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ= ١٩٥٤م.

٣١. سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، الطبعة الأولى: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان (دون تحقيق).

٣٢. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي- تحقيق: محمد نور الحسن (وآخرين)، ١٣٩٥ه= ١٩٧٥م.

٣٣. شرح المفصل لابن يعيش، تصحيح وتعليق: جماعة من العلماء بمعرفة مشيخة الازهر، إدارة: الطباعة المنيرية- مصر- شارع الكحكيين (دون تاريخ).

٣٤. الشفاء- ابن سينا، تحقيق: د. جورج قنواتي وسعيد زايد تصدير ومراجعة، د. ابراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

٣٥. الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

٣٦. الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: د. مفيد قمحية، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ= ١٩٨١م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٧. الصاجي، لأحمد بن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة: عيسى البابي الحلبي وشركاه (دون تاريخ).

٣٨. علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، الطبعة السابعة/ دار نهضة مصر- الفجالة- القاهرة- ١٩٤٥م.

٣٩ . علم اللغة العام، الأصوات، د. كمال محمد بشر، دار المعارف بمصر، ١٩٨٠م.

٤٠ . العمدة، لابن رشيق القيروان، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الثالثة - ١٣٨٣هـ= ١٩٦٣م.

٤١ . عوامل التطور اللغوي، د. أحمد عبد الرحمن حماد، الطبعة الأولى - دار الأندلس- بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

٤٢ . العين، الخليل بن أحمد الفراهيد (جـ١)، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨١م.

٤٣ . الفرق بين الحروف الخمسة، للبطليوسي، تحقيق عبد الله الناصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م، دار المأمون للتراث، دمشق.

٤٤ . في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، العراق، ١٩٨٤م.

٤٥ . في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل ابراهيم العطية، منشورات دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٣م.

٤٦ . في صوتيات العربية، د. محيي الدين رمضان، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٩٧٩م.

٤٧ . في التطور اللغوي، د. عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى، مكتبة دار العلوم، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

٤٨ . في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.

٤٩ . القاموس المحيط- الفيروزأبادي، دار الجيل، بيروت.

٥٠ . القانون في الطب، لابن سينات، دار صادر، بيروت، طبعة جديدة بالأوفست عن طبعة بولاق (دون تحقيق).

٥١ . كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد- تحقيق الدكتور، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

٥٢ . كتاب سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٥هـ= ١٩٦٦م.

٥٣ . الكشف عن وجوه القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، شارع سوريا، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

٥٤ . اللغة - ڤندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص- مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م.

٥٥ . اللغة العربية عبر القرون، د. محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨م.

٥٦ . اللغة العربية، معناها ومبناها، د. تمّام حسّان، الطبعة الثانية: ١٩٧٩م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥٧ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طيانة، الطبعة الأولى، مكتبة نهضة مصر، ١٣٧٩هـ= ١٩٥٩م.

٥٨ . المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، الطبعة الثالثة، ١٩٧١م، دار الشروق العربي، بيروت.

٥٩ . المخصص، لابن سيده، لجنة إحياء التراث العربي (في دار الآفاق الجديدة) منشورات، دار الآفاق الجديدة، بيروت .

٦٠ . مخارج الحروف وصفاتها، لابن الطحان، تحقيق: د. محمد يعقوب التركستاني الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.

٦١ . مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

٦٢ . المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م = ١٤٠٣هـ، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٦٣ . المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس (وآخرون)، دار الفكر.

٦٤ . معاني القرآن، للفرّاء، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م. (دون تحقيق).

٦٥ . مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت (دون تحقيق ودون تاريخ).

٦٦ . المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٢هـ= ١٩٦٣م.

٦٧ . الممتع في التصريف، لابن عصفور الإشبيلي، الطبعة الرابعة، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م، منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت.

٦٨ . المنصف: شرح ابن جني لكتاب التصريف، للمازني، تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، ١٣٧٢هـ= ١٩٥٤م.

٦٩ . مناهج البحث في اللغة، د. تمّام حسّان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٠هـ= ١٩٧٩م.

٧٠ . موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م.

٧١ . النشر في القراءات العشر، لابن الجَزْرِي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (دون تحقيق، ودون تاريخ).

٧٢ . همع الهوامع، لجلال الدين السيوطي، تصحيح: السيد محمد بدر الدين النعساني- دار المعرفة- بيروت، لبنان (دون تاريخ).

٧٣. نُزهة الطرْف في علة الصَّرْف، لأحمد بن محمد الميداني. تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ= ١٩٨١م.

٧٤. وجوه في الإعجاز الموسيقي في القرآن، د. محيي الدين رمضان، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م، دار الفرقان، للنشر والتوزيع، عمان.

٧٥. الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م، مكتبة دار الشرق، بيروت.

الدوريات والمحاضرات

١. مجلة الفكر العربي، العددان، ٨، ٩-١٥ كانون الثاني، ١٥ آذار سنة ١٩٧٩م، السنة الأولى، ليبيا- طرابلس.

٢. مجلة مَجْمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج (٢٥، ٢٦) السنة الثانية تموز- كانون الأول سنة ١٩٨٤م.

٣. مجلة المَوْرِد: المجلد الثامن، العدد الثاني سنة ١٩٧٩م، دار الحرية- بغداد.

تتضمن هذه المجلة: كتاب الضاد والظاء، لأبي الفرج محمد بن عبد الله ابن سهيل النحوي، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي.

٤. محاضرة بعنوان: "جهود علماء المسلمين في الصوتيات"، د. يوسف الهليس. القيت هذه المحاضرة في دائرة اللغة العربية، جامعة اليرموك، اربد، في ٢٤/١٢/ ١٩٨٥م.

المصادر الأجنبية

1. A First Dictionary of Linguistics and Phonetics. By: David Crystal Cambridge- 1980.

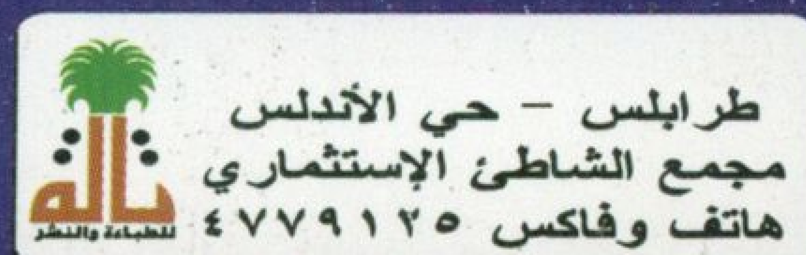
2. Elements of General Phonetics, by David Aber Crombie Edinburgh University Press 1967, 22 George Square, Edinburgh.

3. The Pronunciation of English, by David Jones- Cambridge, University Press, 1966.

الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى

عبد المعطي نمر موسى







Cover: Ali Hammouri
077 256 999